



معركة المصطلحات

العلماء ، الشرك والكفر ، الطاغوت ، العبادة ،
المسائل الظاهرة والمسائل الخفية ، المر جئت والجهمية

الفضيلة

الذِّكْرُ حَقٌّ وَمَكْرَهُهُ كَذِبٌ وَتَبْرَهُهُ نُبْرٌ

معرض حجة المسائل

العلماء، الشرك والكفر، الطاغوت، العبادة،
المسائل الظاهرة والمسائل الخفية، المرجئة والجهمية

مؤلف من كتاب الحملة الطرہونیة علی الغلاة

لفضيلة

الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن بن طرہون

الباب الثالث

المصطلحات

الباب الثالث : المصطلحات

تكلما كثيرا أثناء الرد على العويد على المصطلحات وضبط الماهيات فهي أساس الفهم الصحيح وتنزيل الأحكام وبيننا أن الخلل الكبير في اتهام الدولة الإسلامية بأنهم خوارج مرجعه الأساس لعدم تحرير معنى مصطلح الخوارج وعدم تحرير ماهية الدولة الإسلامية ومن ثم تنزيل أحكام الخوارج عليهم وقد واجهنا مع الغلاة نفس الإشكال فكان لزاما أثناء الحملة تحرير مدلولات بعض المصطلحات المتكررة على ألسنتهم دون فقه وها نحن نذكر المقالات التي تعرضت لذلك .

أولا : مصطلح العلماء :

فصل : يوجد مثل عامي يقولون يكذب الكذبة ويصدقها وبعض الناس يصطلح الاصطلاح حسب فهمه الخاص قاصدا التلبيس أحيانا أو ملبس عليه أحيانا أخرى .
وقديما قرأت تقريرا عن كتاب يظهر تلبيس أمريكا في المصطلحات حتى أضلت أمما من المسلمين مع تكرار هذه المصطلحات مثل مصطلح الإرهاب الذي أطلق على الجهاد وأصبح مستساغا لدى عوام المسلمين الكتاب اسمه " الحرب سلام والأولاد بنات والخيول خنازير " .

وقد انتشر في مصر مسخ سموه حجابا وهو قمة التبرج والفجور تولى كبره المدعو عمرو خالد ثم بدأوا ينشرون أخبارا مفادها أن أكثر المتحرش بهن من المحجبات وأن الحجاب لا يحمي صاحبتة من التحرش وإذا بك تقاجأ أن مصطلح الحجاب تم تشويبه وإخراجه عن معناه الشرعي بمعنى جديد لا يمت للحجاب بصلة .

أما مصطلح الخوارج الذي استخدم على مر العصور في غير محله فلا نطيل بما حصل بسبب الخلط في ماهية هذا المصطلح فما ذكرناه في لقاءات البالتوك لم يجعل لذكر مزيد مكانا ...
نرجع لموضوعنا : الغلاة وغيرهم يأخذون مصطلحات لها مدلولاتها اللغوية والشرعية ويخاطبون الناس بها حسب أفهامهم الخاصة أو حسب ترجيحات البعض في حين كثيرون يخالفون في أصل مدلولات هذه المصطلحات وبالتالي تختلف النتائج كليا فالعبادة والشرك والكفر والطاغوت والمرتد والعالم والمرجئ

والجهمي من تلك المصطلحات التي كثر استخدام الجهال وأنصاف المتعلمين لها ولما يعرفوا ضوابطها والاختلاف حولها وقد أفردنا مقالة لمدلول كلمة عالم وضابط ذلك وتجد بعض من ذكرنا يجد شخصا فاضلا يوافق في بعض الأمور **مثل** الأخ الكريم وليد السناني مثلا فإذا به ببلاهة يبدأ في وصفه بالعالم ولا أظن ذلك يرضي الأخ وليدا لو علم به فالرجل أصلا لا يعرف بطلب العلم فضلا أن يقال له عالم .

مثال آخر بعض طلبة العلم الصغار الذي درس سنة أو سنتين أو حتى أكمل دراسته الجامعية لمجرد التحاقه بالدولة الإسلامية أصبح عالما عند البعض ومرجعا بل ويرد على العلماء ببعض أبحاثه الصغيرة المتواضعة ومثل ذلك فيمن التحق بجبهات أخرى كالنصرة مثلا نحو المحيسي ومن في طبقتة .

مثال ثالث القائد الظواهري مثلا أو حتى أبو عبد الله أسامة تقبله الله لأجل سبقهما في الجهاد وتاريخهما في ذلك البعض يعتبرهما من العلماء ويحتج بما يقررونه من مسائل علمية توهما أن السيف يعطي علما .. وقد توفي خالد بن الوليد سيف الله المسلول ويكاد لم ينقل عنه مسألة علمية واحدة أفتى فيها لانشغاله بالجهاد وعدم خوضه فيما ليس من فنه .

مثال رابع مناصرو الدولة أعزها الله إذا وجدوا شخصا ينتسب للدولة أو مناصرا لها يتكلم في العلم أو كتب بحثا أو رسالة أو سجل شريطا مهما كان مجهولا لا يعرف لا اسمه ولا ضبطه ولا تاريخه العلمي فقط أبو فلان الفلاني أصبح عندهم من علماء الدولة ثم أصبح كلامه يمثل الدولة علميا ثم أصبح هذا الكلام حجة على الناس بل على العلماء بل على كبار العلماء إلى آخر هذا الهراء .

مثال أخير بعض من ألف كتبا من غير طلب للعلم أو بالأحرى سود صفحات بها من الخلط والخلل والزلل ما الله به عليم ينظر له كثيرون من أنصاف المتعلمين على أنه من العلماء مثل المدعو طارق عبد الحليم ومن يشبهه من أسماء كتاب في الجهاد والتكفير وما يلحق بهذه الأبواب وبعضهم يقارن هؤلاء بالعلماء وربما رفعهم فوقهم .

هذا في مصطلح العالم وإلى لقاء خاص بمصطلح الطاغوت وضابط أهل العلم فيه .

فصل : يا أحبة .. ماذا جرى للناس؟؟ هل اندرس العلم لهذه الدرجة؟ ألا يعي هؤلاء عاقبة ما يفعلون؟

ألا ينتبه هؤلاء للآزم ما يفعلونه وهو إقصاء كل علماء الأمة إن لم نقل تضليلهم أو تكفيرهم؟

* أين فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون؟

* أين وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون؟

* أين إن هذا العلم دين فانظروا عنم تأخذون دينكم؟

* أين النصوص والنقول المتكاثرة المتواترة في التحذير من الإفتاء إلا للعلماء ؟
تخلوا .. أحد الإخوة الغلاة يرد في رسالة له على الغلاة الأكثر منه غلوا ظانا أنه المعتدل وهو طبعا مجهول
لا تاريخ له ...

أعرفون في رسالته المختصرة جدا في أمر هو أعظم أمور الإسلام ينقل إجماعا للمسلمين عن ؟
الشيخ ! سلطان بن بجاد العتيبي !!!!!

والله لو نقله عن ابن تيمية لما قبلناه وتوقفنا للنظر فيه وفي صحته ... ثم عن ؟
رسالة لشاب شنقيطي لعله طالب علم فلم أظفر له بترجمة لكن له لقاءات على اليوتيوب اسمه محمد أمين
المجلسي !!!

ثم بقية النقول جلها عن بعض علماء الدعوة النجدية ونقل أو نقلين يتيمين من النقول عن ابن تيمية مما
يعارضه غيره عنه أيضا!!!

فليت شعري .. أمسألة عظيمة كهذه لا نجد فيها نقولا عن أئمة العلم الكبار أصحاب المذاهب المتبوعة مثلا
كالأئمة الأربعة أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة أو أقرانهم كالليث بن سعد والأوزاعي والطبري والحسن
البري وداود ونحوهم أو للذهبي وابن حجر وابن كثير وابن القيم والنووي ونحوهم أو حتى المتأخرين
كالسيوطي والسخاوي أو من بعدهم كالشوكاني والمعلمي وأحمد شاكراً أو من المعاصرين كابن باز وابن
عثيمين والألباني ما وجد إلا شيخ قبيلة وشاب من الدعاة للتوشب عن طوقه هذا دليل خلل رهيب في
التأصيل العلمي والبحث يؤدي لأطراح الشخص نفسه فضلا عن أطراح بحثه لو كان في مسألة فقهية يسيرة
فما بالكم في مسألة عقدية بل في أعقد المسائل العقدية وأخطرها ؟؟
ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ،،،

فصل : كنت أيام شبابي لي زميل في كلية الهندسة بمنصب شماس في الكنيسة وكنت أناقشه من خلال كتاب
المسيحية للدكتور أحمد شلبي وكان من ضمن المسائل المفحمة للنصارى ويحارون فيها جوابا أنهم يدعون
أن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا ضحى بولده الوحيد ليصلب لكي يغفر ذنوب البشرية جمعا فكنا نقول
لهم هذه الأمم التي خلت قبل المسيح عليه السلام بأنبيائها وعلمائها وصالحائها وأتباعهم كلهم كانوا على
ضلالة وفي غضب من الله وسخط وماتوا على ذلك أم ماذا ؟ وما ذنبهم ؟؟ ولماذا لم تحصل هذه التوضيح من
أول البشرية حتى تغفر ذنوب الجميع مرة واحدة ؟
قطعا لا جواب إلا سفسطة وتحايل للخروج من المأزق..

تذكرت هذا عندما أنظر لجماعة الغلاة تلك كلما قلنا لهم ثور قالوا احلبوه نأتي لهم بكل دليل شرعي ونقل علمي وبرهان عقلي فيذهبون لملف القص واللصق فينسخون لنا نقولا لا تخرج في جلها عن بعض مشايخ الدعوة النجدية وقليل منها عن ابن تيمية رحم الله الجميع وكلها تتناقض مع نقولات أخرى لنفس هؤلاء أو لبعضهم والمنهج العلمي في مثل ذلك اطراح الجميع عند من أشكل عليه التناقض ولم يستطع الجمع فليس الإسلام موقوفا على قول فلان أو فلان وهل كانت العصور قبل هؤلاء لا علماء فيها؟ ولا تحرير فيها لأهم مسائل الدين وهي مسائل العقيدة عند أئمة تلك العصور الذين بعضهم أعلم وأفضل من هؤلاء والأمة متفقة عليهم بالإجماع بخلاف هؤلاء الذين تنازعت فيهم الأمة بين التقديس والتكفير؟

يا أخي ناقشني بنصوص شرعية مشروحة بشرح العلماء الكثر المتفق على جلالتهم أو على الأقل غير هؤلاء الذين نختلف في توجيه نصوصهم ... وقتها سيتوقف القص واللصق ويكل اليراع والأعجب من ذلك أن يسوق لك آيات يفهمه هو وكأن القرآن الكريم يفسره ويفهم مدلولاته كل من هب ودب ويستدل باللفظ وهو لا يعي أنه حجة عليه لا له من حيث لا يشعر لتتكبه عن طريق أهل العلم في فهم كتاب الله تعالى .

يكفي أن تنظر نظرة خاطفة في كتاب الاتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي الصوفي صاحب أسانيد ليس الخرقا لتعرف المؤهلات التي يجب أن تتوفر في مفسر القرآن والمستنبط للأحكام منه وقتها سوف تعرف قدر نفسك .

فصل : بعض الإخوة سأل كيف نعرف العالم من غيره طالما حكرت مسائل الدين على العلماء ولم تسمح للعوام بالخوض فيها فأقول :

الذي حكر أمور الدين على العلماء هو الشرع فقال صلى الله عليه وسلم :

" العلماء ورثة الأنبياء "

وقال تعالى : **" فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "**

وقال : **" أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم "**

والأدلة كثيرة

ومنزلة العالم عظيمة ومسئوليته جسيمة وقد كتبنا قبل مقالا في مواصفات العالم ننقل منه هنا طرفا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه "

العالم له أوصاف لا تخضع لأهواء أصحاب الأهواء والجهلة الذين إذا وافقهم شخص فهو عالم وإذا خالفهم فهو نكرة أو عالم سوء .

من احترم عالماً ووقره حينما كان يقول ما يجب ثم أزرى به وحقره وتطاول عليه حينما قال ما لا يعجبه ففيه مسحة يهودية خبيثة .

فاليهود قوم بُهت قالوا عن ابن سلام سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فلما ظهر لهم إسلامه قالوا شرنا وابن شرنا .

العالم له تاريخ في طلب العلم تثنى ركبته عند العلماء السابقين له وتعلم على أيديهم فنون العلم المختلفة من آلات وأصول وفروع حتى أجازوه وأثنوا عليه خيراً وشهدوا له بأهليته لنشر العلم وتعليمه ثم أصبح له تلاميذ نهلوا من علمه واستفادوا منه وبرزوا في العلم على يديه ثم أثرى الأمة بأبحاثه ودروسه ومؤلفاته ونقاشاته وشهد له من حوله من أهل العلم من أقرانه وغيرهم بالعلم والفضل والسبق .

أما قارئ الكتب أو مستمع المحاضرات فليس بعالم ومن حفظ القرآن أو الأحاديث أو أقوال العلماء أو كتاب كذا وكتاب كذا فليس بعالم من كتب بحثاً أو رسالة أو ألف كتاباً أو كتباً أصالة أو سرقة وكتب عن نفسه الشيخ فهؤلاء جميعاً ليسوا بعلماء .

من عُين من قبل الطواغيت أو غيرهم مفتياً أو من وظف في هيئة علماء سواءً أكانوا كباراً أم صغاراً لا يدل ذلك على علمه أو فضله أو خير عنده بل ربما كان العكس .

من ظهر في الفضائيات وعلى شاشات التلفاز وفي وسائل الإعلام التي تحت سلطة الطواغيت أو غيرهم لا يدل ذلك على علمه أو فضله أو خير عنده بل ربما كان العكس .

العالم يسمى عالماً وإن كان داعية ضلالة فضلاله لا ينزع عنه الوصف بالعلم ، فعلماء اليهود هم علماء وأحبار وإن كانوا يهوداً .

علماء الضلالة هم أمثال علماء الرافضة والباطنيين وغلاة المتصوفة ونحوهم .

أما الأشاعرة والماتريدية ومن شابههم فعلماءهم مخطئون مجتهدون ولا يوصفون بعلماء ضلالة .

علماء السوء أكثر ما يطلقون على علماء السلاطين الذين يحرفون للناس دينهم لأجل أهواء السلطان وطمعاً فيما لديه من دنيا وجاه ، وهؤلاء لا يدخل فيهم من يداري السلطان أو يثني عليه في بعض الأحوال بغرض مصلحة الدين وخدمته فيما يعتقد .

المجاهد الإمام في الجهاد وهو ليس من العلماء لا يحل له أن يفتي ولا أن يتكلم في دين الله وإنما يترك العلم لأهله .

العالم القاعد يتكلم في الجهاد نظرياً أما في واقع ما يدور في مواطن الجهاد فالكلام فيه للعلماء النافرين في

نفس المواطن فإن عدموا يتكلم القاعد شريطة تلقي الصورة بوضوح من المجاهدين الموثوقين قدر الاستطاعة .

الذي ألف كتاباً من المجاهدين أو ممن يحب الجهاد أو يبغض الطواغيت أعجب بعض الناس واتخذوه لهم إماماً لا يقدم شيئاً ولا يؤخر في اعتباره عالماً يرجع إليه فالعبرة بما تقدم لا اعتباره من العلماء وقد يكون كتابه أو كتبه وبالاً عليه لأنه تزبَّب قبل أن يتحصرم .

انتهى النقل وأزيد هنا :

لا نغفل تطييل كل فريق لعالمه فربما يضخم شخص ويرفع فوق منزلته الحقيقية بألفاظ التفخيم ولكن حقيقة ترجمته تفضحه ونتاجه العلمي يظهر غلو مادحيه من أراد أن يتعلم كيف يعرف العلماء فليأخذ أي كتاب من كتب التراجم كسير أعلام النبلاء مثلاً ويقرأ ترجمة بعض أئمة العلم وسيرى تطبيقاً فعلياً لما ذكرته هنا .

فصل : يا أحبة في خلال بحثي عن تراجم شيوخ شيوخنا وبعض من فوقهم من أئمة الدعوة النجدية حسب ما طلب مني شيخنا الشيخ حمود بن عبد الله التويجري كما ذكرت في وقت سابق لم أجد معلومات تكفي لمنزلة بعضهم عند طلاب العلم واتخاذهم أئمة يصدر عن قولهم وفهمهم فهي لا تتعدى ترجمة لأي طالب علم مجتهد في مسائل معينة فمن لديه إفادة زائدة في طلبهم العلم وشهادة علماء عصرهم لهم بالعلم والسبق وجهودهم في صنوف العلم من مؤلفات وتحريرات في التفسير والحديث ومسائل الفقه والسيرة والقراءات وعلوم القرآن ونحوها وحتى في مسائل العقيدة المتنوعة وليس فقط في رد الشبهات ومسائل التكفير وما شابهها فليزودنا بها نكن له من الشاكرين ...

أولاً : الشيخ الباطين :

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس ال باطين، وعليه لقب بـ أباطين ، ولد في روضة سدير ١١٩٤ / ١٢ / ٢٠ هـ

نشأ في روضة سدير وقرأ على قاضيتها وفقهها محمد بن طراد الدوسري الفقه ، ولازمه ملازمة تامة ، ثم ارتحل إلى شقراء عاصمة الوشم فقرأ على قاضيتها عبد العزيز الحصين ، ثم رحل إلى الدرعية فقرأ على علمائها ، وعندما استولى الإمام سعود بن عبد العزيز على مكة المكرمة والمدينة المنورة عام ١٢٢٠ هـ عين قاضياً على الطائف وملحقاته من قبائل الحجاز فجلس في قضاء الطائف وملحقاته سنتين ، وفي ولاية الإمام عبد الله بن سعود صار قاضياً على عمان ، ثم لما جاء عهد الدولة السعودية الثانية ولاه الإمام تركي قضاء محافظة الوشم وعاصمتها شقراء آنذاك ، وعندما توفي قاضي سدير عبد الله بن سليمان بن عبيد عام

١٢٣٩ هـ جمع الإمام تركي لعبد الله أبا بطين قضاء الوشم وقضاء سدير .

وفي عام ١٢٤٨ هـ نقله الإمام تركي من قضاء الوشم إلى قضاء القصيم وصار مقره في عنيزة وبعد وفاة الإمام تركي عاد أبا بطين إلى شقراء وجلس فيها للتدريس والتعليم والإفتاء ، وفي عام ١٢٧٠ هـ ترك أبا بطين قضاء عنيزة ، وعاد إلى شقراء واشتغل بالتدريس والفتوى .

شيوخه :

محمد بن عبد الله بن طراد الدوسري ، عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري قاضي شقراء ، حسين الجفري ، حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر التميمي ، أحمد بن حسن بن رشيد العفالقلي الاحسائي ، عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب .

تلاميذه :

على بن محمد آل راشد ، محمد بن إبراهيم السنائي ، محمد بن عبد الله بن مانع ، عبد الرحمن بن محمد بن مانع ، محمد بن عبد الله بن حميد صالح بن عيسى ، على السالم الجليدان ، صالح بن عثمان العوف آل عقيل ، عبد الله بن عائض ، محمد بن عمر بن سليم ، محمد بن عبد الله بن سليم ، سليمان بن علي بن مقبل .

مؤلفاته :

تأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس .

الانتصار في الرد على ابن جرجيس .

رسالة في تجويد القرآن الكريم .

الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين .

الرد على البردة .

دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث .

رسائل وفتاوى أبا بطين .

توفي ١٢٨٢ / ٥ / ٧ هـ وعمره ٩٠ سنة .

ثانيا : الشيخ ابن سحمان

سليمان بن سحمان بن مصلح الخثعمي العسيري النجدي، ولد في قرية (السقا) من قرى أبها ١٢٦٦ هـ لازم أباه وأخذ عنه وانتقل معه إلى الرياض في عهد الإمام فيصل بن تركي ، فتلقى عن علمائها التوحيد والفقہ واللغة ، وتولى بعدها ابن سحمان الكتابة للإمام عبد الله بن فيصل فترة وجيزة من الزمن ثم تفرغ

الحملة الطرھونية على الغلاة

بعدها للتدريس والتأليف ، كف بصر ابن سمحان في آخر حياته
طلبه للعلم ومشايخه :

أخذ عن العلامة عبدالرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبداللطيف والشيخ حمد بن عتيق .
تلامذته :

الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري والشيخ عمر بن حسن والشيخ
عبداللطيف بن إبراهيم والشيخ عبدالعزيز بن صالح المرشد رحمهم الله جميعا .

مؤلفاته :

تأييد مذهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف .

البيان المبدي لشناعة القول المجدي .

منهاج أهل الحق والإتباع في مخالفة أهل الجهل والإبتداع .

الجواب المنكي على الكنكي .

كشف الإلتباس عن تشبيه بعض الناس .

الأسنة الحداد على علوي حداد .

الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداخضة الشامية .

الجوش الربانية في كشف الشبه العمروية .

الجواب الفاصل في الساعة بين من قال إنها سحر ومن قال إنها صناعة .

إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل .

تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة .

مشروعية الجهر بالذكر بعد السلام " تحقيق الكلام "

نظم ما انفرد به ابن تيمية ، نظم اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية .

تميز الصدق من المين في محاوره الرجلين ، كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس .

فتيان تتعلقان بتكفير الجهمية ، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق .

كشف الشبهتين ، كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام .

وفاته :

توفي رحمه الله ١٠/٢/١٣٤٩ هـ .

فصل : تلقف الغلاة تركيزي على أهمية تحرير من هم العلماء وقصر الإفتاء في مسائل الشرع جملة عليهم فضلا عن أهم وأصعب مسائل الشرع وهي القضايا العقدية لاسيما أخطرها وهي مسائل التكفير وما يتعلق بها من دماء فبدأوا تشغيبتهم : الطرھوني يقول هو العالم الأوحـد .. الطرھوني يمدح نفسه .. الطرھوني مغرور قتله الكبر والعجب .. الطرھوني .. الطرھوني .. وتأثر بهم البعض فكتبت مقالا بعنوان ساخر هذا هو : أنا عالم .. يا ناس يا هوو أنا عالم !

اللقاء الوحيد الذي جمعني بفضيلة الشيخ المحدث الفقيه الشافعي محمد نجيب المطيعي رحمه الله كان عام ١٤٠٠ في موسم الحج بمنى كان هو إمامنا في صلاة العشاء على ما أذكر يوم التروية وكنا مجموعة من الجماعة الإسلامية من كلية الهندسة وكنت وقتها في اتحاد الطلاب ورئيس لجنة الجواله وعمرى إذ ذاك حوالي عشرين سنة وكانت لي بعض القراءات في الشريعة لا أذكرها بالضبط ولعل منها صحيح البخاري وفتح المجيد وشيء من فقه السنة والدين الخالص وبعض كتابات الإخوان والألباني وغير ذلك وكنت أقرأ القرآن برواية حفص وورش فكنت أظن في نفسي أنى على قدر من العلم ولا أقبل إلا الدليل لا آخذ من العلماء المهم الكتاب والسنة .

المهم صلى بنا الشيخ العشاء فأتم الصلاة أربعا فثارت ثائرتى أنا وبعض الإخوة ممن نرى في أنفسنا معرفة السنة بدليلها وأنكرنا على الشيخ الإتمام ولم نكن نعرفه فما كان من الشيخ إلا أن عرفنا بنفسه وكان مما ذكره عن نفسه أنه من العلماء وأن هذا هو الراجح في نظره وكان يتكلم من وجهة نظرنا إذ ذاك بعجب وغرور واحتقار واستصغار لنا وقد كنت أسمع عنه وعن دروسه في مصر لكننا لم نكن نهتم بها كسلا أولا في الحقيقة واحتقارا للعلماء جملة وإسقاطا لهم لأنهم مقلدون وامتدھبون ونحن نتبع الدليل والحق لا يعرف بالرجال وإنما يعرف الرجال بالحق وهم رجال ونحن رجال وهذه الأسطوانة المشروخة في الحقيقة لم نلتفت لشيء مما ذكره الشيخ ولم نلق له بالا فقد كانت آذاننا موصدة لنظرتنا السيئة له كرجل مغرور متكبر يتفاخر علينا بأنه عالم وهو مقلد متمذهب ضائع ونحن أهل الحق والدليل وعدم التقليد ..

طبعا في هذه السنة كانت فتنة جهيمان وقد نجانا الله منها بأعجوبة في حين تورط بعضنا فيها وكان مما يعجبنا ونحب قراءته بعد رجوعنا لمصر ونجتمع عليها وعلى قراءتها مع بعض إخواننا رسائل مجموعة جهيمان وكانت تقريبا خمس كتيبات صغيرة وتحوي أمورا كبيرة وهي والله حقا كبيرة تذكرت هذا الموقف وتذكرت اليوم عندما أركز وأنبه الإخوة على أخلاق طالب العلم مع العلماء وكيف يكون السؤال وكيف يحفظ المسلم منزلته ويعرف قدره ويعطي القوس باريها ونحو ذلك مما يضطرنى للتنبيه على أنى أتكلم من منطلق

كلام العالم الذي خبر هذه الأمور وتمرس فيها وأعرف ما يعيشه الطرف الآخر إذ عشته بنفس تفاصيله قبل أن يمتن الله علي بمسلك طلب العلم الصحيح والتدرج في الأشبار الثلاثة التي ذكرها الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه القيم حلية طالب العلم .. تذكرت هذا الموقف وأنا أجد من يتهمني بما اتهمنا به الشيخ محمد نجيب المطيعي والعامّة يقولون الدنيا سلف ودين فلعل ذلك قصاص دنيوي أرجو من الله أن يعفيني به من القصاص الأخرى وقد تبت إلى الله من طيش الشباب وجهلي إذ ذاك وأدعو إخواني وأبنائي وأحفادي ممن يقرؤون كلامي أن يستفيدوا من هذا المقال فو الله لا يكسب العالم شيئاً من اعتراف الناس له بالعلم أو عدمه فغدا يموت ولا ينفعه إلا عمله وصدقه مع الله وإخلاصه ولكن تحتاج بعض المواقف ولأجل تدعيم القول والثقة فيه بأنه من أهله التنبيه على الاختصاص لأن العاقل لا يصلح سيارته عند الطبيب ولا يجري عملية في قلبه عند المهندس ولا يعمر بيته عند بائع السمك

ولا يأخذ العلم من غير العالم

ولا يأخذ العلم من غير العالم

ولا يأخذ العلم من غير العالم

فصل : سبق أن أشرنا لسلسلة إنهم قوم بهت وأن هؤلاء الغلاة مقياسهم للعالم أن يكون موافقا لهم فإن خالفهم أسقطوه وجددوا ثناءهم ورفعتهم له حتى الثريا قبل أن يجعلوه تحت الثرى وليس هذا مقتصرًا على الطرھوني ونحوه من الساقّة وإنما في قادة مقدمة العلم والعلماء كأبي حنيفة مثلاً ومن في منزلته وقد كتبنا مقالة عن تكفيرهم لشيخ الإسلام نابغة الزمان ابن تيمية الحراني لمخالفته لهم في مسألة العذر بالجهل في مسائل من الشرك الأكبر وها هو المقال :

سئل شيخ الإسلام عن نفس الأفعال التي يفعلها القبوريون في زمننا المتأخر ومن تلك الأفعال الاستغاثة بالقبور ودعائها عند الشدائد كما في نص السؤال .

وقد أجاب ابن تيمية بجواب طويل قال فيه : ” الحمد لله رب العالمين من استغاث بميت أو غائب من البشر بحيث يدعوه في الشدائد والكربات ويطلب منه قضاء الحوائج فيقول : يا سيدي الشيخ فلان أنا في حسابك وجوارك أو يقول عند هجوم العدو : يا سيدي فلان يستوحيه ويستغيث به أو يقول ذلك عند مرضه وفقره وغير ذلك من حاجاته : فإن هذا ضال جاهل مشرك عاص الله تعالى باتفاق المسلمين فإنهم متفقون على أن الميت لا يدعى ولا يطلب منه شيء سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك.”

فقرر هنا حكم الاستغاثة بالقبور ، وبيّن أنها شرك أكبر ثم أخذ ابن تيمية يذكر الأحوال التي يجوز فيها السؤال من المخلوق والأحوال التي لا يجوز فيها توجيه السؤال إليه ثم بين أحكام زيارة القبور وبين أنواعها وبين بعض البدع التي تفعل عند القبور .

ثم بين حقيقة الشرك الذي كان مشركو العرب يفعلونه عند قبورهم وأنه إنما كان باستغاثتهم وجعلهم وسائل بينهم وبين الله تعالى فلما قرر ذلك قال : " وهذا الشرك إذا قامت على الإنسان الحجة فيه ولم ينته وجب قتله كقتل أمثاله من المشركين ولم يدفن في مقابر المسلمين ولم يصلّ عليه وأما إذا كان جاهلاً لم يبلغه العلم ولم يعرف حقيقة الشرك الذي قاتل عليه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين فإنه لا يحكم بكفره ولا سيما وقد كثر هذا الشرك في المنتسبين إلى الإسلام ومن اعتقد مثل هذا قربة وطاعة فإنه ضال باتفاق المسلمين وهو بعد قيام الحجة كافر."

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الأحنائي

" من دعا غير الله و حج إلى غير الله فهو مشرك والذي فعله كفر ، لكن قد لا يكون عالماً بأن هذا شرك محرم كما أن كثيراً من الناس دخلوا في الإسلام من التتار و غيرهم و عندهم أصنام لهم يتقربون إليها و يعظمونها و لا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام ، و يتقربون إلى النار أيضا ، و لا يعلمون أن ذلك محرم فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل الإسلام و لا يعلم أنه شرك .إ.هـ "

وهذه النقول عن شيخ الإسلام وغيرها مما لم نستقصه كانت سببا في تكفير بعض الغلاة لشيخ الإسلام نفسه كما في الصورة المرفقة وهو لازم لهم على مذهبهم الفاسد ...



ويوجد بحث ماتع لسلطان بن عبد الرحمن العميري تقصى مذهب شيخ الإسلام في ذلك وتفريقه بين المسائل الخفية والظاهرة من العبادات في العذر فمن أراد الاستزادة فهذا رابطته

<http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-14420.htm>

فصل : كما قدمنا كثير من محبي الخير ومريديه يقرؤون كلام العلماء في ذم التقليد والحرص على معرفة الدليل فيطيطرون به كما كنا نفعل نحن في أيام جهلنا وبداية طلبنا للعلم وظننا أن هذا الكلام ينطبق على أمثالنا ممن لم يحصل أدوات الفهم ومعرفة الدليل ووجهته وكيفية الاستنباط وإنزال الأحكام بعد تنقيح مناطاتها وغير ذلك ولذا يكثر في كلامهم إن أعياهم النقول عن العلماء الأكابر العبرة بالدليل من الكتاب أو السنة ثم ينقل لك دليلا لم يفهم معناه ولا وجه الاستدلال فيه فكتبنا هذه المقالة والتي بعدها في ذلك :

* البعض يستدل لك بنصوص من القرآن وأدلة من السنة وكأنه قد فتح عكا أو جاب الديب من ديله كما في المثل العامي ...

وهل يوجد في تاريخ الإسلام ضال أو زائع لم يحتج بآيات وأحاديث ؟

بالأمس القريب كان معنا العويد وكان يحتج بآيات وأحاديث على كون الدولة من الخوارج فهل كان مصيبا لمجرد هذا الاحتجاج العبرة بصحة الاستدلال ومطابقة الدليل للمدلول بعد صحة فهم المراد من الدليل بجمعه مع سائر النصوص الشرعية واعتباره بالأصول العلمية الصحيحة وهذا لا يعرفه إلا العلماء المتمكنون المشهود لهم بالعلم والسبق والفضل لا العوام ولا أنصاف المتعلمين جميع الفرق قد ضلت لأنها

أخذت نصوصا وتركت أخرى وأمنت ببعض الكتاب وكفرت ببعض فالمرجئة لم يأتوا من فراغ فلدیهم آیات وأحاديث ثابتة صحيحة تؤيد بدعتهم والخوارج كذلك والمشبهة كذلك والمؤولة كذلك وهلم جرا ولو استقصينا حججهم وأدلتهم القوية الواضحة لالتبس الأمر كثيرا على العوام بل على طلاب العلم ولترسخت عندهم الشبهات فلا داعي لذكر ذلك وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

* نحن نتبع الدليل ولا نقلد !

كلمة كنت أقولها كثيرا في أول الطلب متأثرا بالجبل الأشم ، الإمام العلم ، أبي محمد ابن حزم ، وكلما تقدم بي العمر وتعمقت في طلب العلم أجد فيها خلا ..فهي جميلة وذات رونق وبهاء لكنها على حد قول شيخنا في اللغة الشيخ منصور حبيب رمضان رحمه الله حيا أو ميتا كالعلل النحوية التي كالوردة تشم ولا تفرك . وأذكر أن شيخنا _ وتلميذنا تجاوزا وتواضعا منه _ أبا عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري حفظه الله وصرفه عما هو فيه كان قد بدأ تأليف موسوعة علمية يريد أن ينفك فيها من تقليد أحد _ طبعا بعد أن أصبح إماما عالما _ فكان مما يجب عليه ليلتزم الشرط ألا يقبل تقليد أئمة الجرح والتعديل في الرواة الذين هم عمدة ثبوت الدليل الذي هو عمدة صحة الحكم ! فلربما اعتقد المرء في الله اعتقادا مكفرا كفرا أكبر بناء على حديث وهذا الحديث قد فيه عند نظره في صحته _ وهو أهل لذلك _ قول علماء الجرح والتعديل في كون راويه ثقة ولربما لو سبر هو مروياته ولم يقلدهم لتبين له أنه ليس بثقة فينهدم الحديث ويسقط الأصل كله . وبعد لأي وجهد وبعض غوص في بحر العلم علمت أن الذي يريد أن ينفك من التقليد وينفرد باتباع الدليل لابد أن يكون في الجانب العلمي فقط عالما في اللغة وعلومها وعالما في القرآن وعلومه وعالما في الحديث وعلومه وعالما في الفقه وعلومه وعالما في السيرة وعلومها وعالما في التاريخ وعلومه وغير ذلك فضلا عن الجوانب الأخرى غير الجانب العلمي .

وأصبحت أنظر لمن يسلك مسلكي في بداية الطلب نظرة المشفق وأحذر من أحب من تلكم النظرة السطحية لقضية التقليد والاجتهاد واتباع الدليل وأذكر لهم مثلا فرضيا فأقول :

تخيل أن شابا هداه الله حديثا على يد طالب علم كان مثلي في ذلك الزمان فقال له إياك وتقليد دينك للرجال وخذ العلم من مصادره مباشرة الكتاب والسنة فهما الحجة ولا حجة في غيرهما ونحو ذلك فأخذ الشاب القرآن وهو ينوي الزواج فبحث فوجد سورة النساء فقال لعلي أجد فيها ما ينير دربي فإذا به يقرأ في أولها : فانكحوا ما طاب لكم من النساء . فقال والله لن أجد خيرا من أختي فلانة فهي طيبة خلقا وخلقا وأعرفها وأعرف كل شيء عنها وعن أسرتها فلم لا أتزوجها وهاهو الدليل الصريح الواضح من كتاب الله لا يحتاج

لعالم يتقعر علي ولا شخص يتفلسف معي وهو الحجة التي ليس بعدها حجة ومن ردها فهو كافر مرتد فأسر لصاحبه بما عزم عليه فإذا بصاحبه يقول له : لا يا أخي لو تستمر في قراءة السورة ستمر بك آية أخرى تقول : حرمت عليكم أمهاتكم وأخواتكم ..

وهنا أسقط في يديه فقال في نفسه : إذن لا بد أن أقرأ السورة كلها حتى آخذ الحكم من آية صريحة في أولها ؟ ثم تفكر ماذا لو كانت هناك آية لا بد من معرفتها في السور الأخرى وماذا لو كان هناك حديث لا بد منه في نفس الموضوع يعني لا بد أن أعرف القرآن كله والحديث كله حتى أعرف من التي تحل لي ! فيقول : طالما أختي لا تحل لي فهناك ابنة عمي هي كذلك من خيرة الفتيات وقد كانت وهي صغيرة ترضع معي فبيني وبينها صلة خاصة ..

وهنا يقول له صديقه : لا لا هذا الأمر يحتاج لنظر دقيق .. فلو أكملت آية المحرمات لوجدت فيها وأخواتكم من الرضاعة ..

فيقول : إذن هي أيضا محرمة والدليل واضح والقرآن حجة بنفسه وقد جزم بالتحريم فلماذا تقول يحتاج لنظر دقيق ؟

قال : لأن هناك حديث يقول : لا تحرم الرضعة والرضعتان ولا الإملجة والإملجتان .

فيقول : أولا من قال إن هذا حديث صحيح وهو يعارض القرآن ثم به كلمات غير مفهومة إملجة وإملجتان ..

فيرد صاحبه : يوجد علم خاص هو علم الحديث يدرس الأسانيد بناء على علم يسمى علم الرجال بعد الاستعانة بعلم التخريج فننوصل لصحة الحديث .. وقد نص علماء الحديث على صحته وأما الإملجة فمعناها يعرفه علماء اللغة وقد شرحوه العلماء في كتبهم ..

فيقاطعه : علماء علماء يا أخي الدين واضح والله ما أرسله للعلماء فقط وأنا أتبع الدليل .. عموما دعنا من هذا فحتى لو صح فهي حرام علي لأنها رضعت معي ثلاث رضعات ..

فيقول له صاحبه : لا يا أخي فمالت المسألة تحتاج لنظر واسع فما معنى الرضعة وما مقدارها وهل كانت الثلاث في جلسة واحدة أم كل واحدة مشبعة بنفسها وشروط كثيرة اختلف فيها العلماء كما أن الثلاث رضعات لا تحرم أصلا .

فيقول : كيف هذا يعني لا تأخذون بالقرآن ودليله الواضح الصريح ولا تأخذون بالسنة التي زعمتم أنها صحيحة وهي صريحة ؟

فيقول : يوجد حديث آخر صحيح فيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرأ من القرآن .

فيقول : يا أخي ما هذا ؟ أنت من أين تأتي بهذا الكلام أنت تقول حديث ثم تقول فيما نزل من القرآن ؟ أرنى أين هو من القرآن ؟

قال : لا لن تجده فالجزء الأول من منسوخ التلاوة منسوخ الحكم والجزء الثاني من منسوخ التلاوة باقي الحكم فهو غير موجود الآن في القرآن .

فيقول : أعوذ بالله تدعي أن القرآن فيه أشياء كانت موجودة ولم تعد الآن موجودة هذه ردة صريحة أين ما نعرفه من أن الله حفظ القرآن .

فيقول صاحبه : صبرا أخي هذا علم يسمى علم الناسخ والمنسوخ وهو يحتاج دراسة ولا يتعارض مع حفظ الله للقرآن ...

هنا قاطعه قائلاً : أقول لك دعك من هذا فلولاً منزلتك عندي لكفرتك وخلينا في موضوع الزواج وسنبعد عن الأقارب كلية .. عندي جارة لنا من خيرة النساء وقد توفي زوجها منذ أيام وهي للتو عروس والكل يمدحها فما رأيك ؟

فإذا به يقول : لا هذه لا تحل لك الآن .. هذه تحتاج لنظر كذلك فهل هي حامل أم لا ؟ فإن كانت حاملاً فلا يجوز نكاحها حتى تضع حملها وإلا فعدتها أربعة أشهر وعشراً ...

حامل ... عدة ... أربعة أشهر وعشراً....

اشتبكت الأسلاك في رأس الأخ ...

نحن سنكتفي بهذا القدر من هذا الحوار الشيق المفترض فلو استرسلنا في التفريعات نكتب كتاباً وما انتهينا من العلوم التي يحتاجها العالم حين يقول فلانة يحل نكاحها أو يحرم .

هذا في أمر يسير وهو نكاح امرأة فكيف بالأمور الجليلة المتعلقة بالاعتقاد ومآل الإنسان في آخرته حيث لا نهاية من كفر وعدمه وقد ذكرني ما تقدم بقصة واقعية حصلت معي فقد دعاني أبو عبد الرحمن ابن عقيل للعشاء في جلسة خاصة فإذا به يخبرني أنه دعا شخصاً واحداً ظن أنني أستأنس بوجوده وهو الشريف الدكتور نايف الدعيس فقلت له سامحك الله يا أبا عبد الرحمن أنا لا أرغب في الجلوس مع هذا الرجل فهو جليس الأمير وعليه ملاحظات كثيرة فحاول الاستدراك واتصل به ليثنيه عن المجيء فإذا به يخبره أنه قد

وصل .

وفعلا جلسنا سويا وتطرق الكلام للقراءات فطلب مني أبو عبد الرحمن أن أتكلم لتخصصي فذكرت أن من القراءات ما هو موضوع ومنها ما هو ضعيف ومنها ما هو صحيح والصحيح منه ما هو آحاد ومنه ما هو متواتر كالحديث سواء بسواء وهنا زجر الدعيس لأنه يجهل هذا العلم وهو يعرفني ويعرف أنني على منهج مخالف له فإذا به يقول ما كفاكم الحديث حتى تطعنوا في كتاب الله أفي كتاب الله موضوع وضعيف وأخذ يرغي ويزبد وفي الحقيقة التفتت عليه بأسلوب خاص حتى هدأته لئلا يوصل الأمر للإضرار بي فقتوات الإعلام مفتوحة له ويكفي أن يقول الطرھوني يطعن في القرآن الكريم وسوف يسمع كلامه من لا يعي شيئا مما أقول وانتهت الجلسة على خير وبعدها قلت لأبي عبد الرحمن رأيت لماذا لم أكن أود الجلوس مع هذا الشخص ؟

هذا دكتور ولكنه ضعيف علميا في حقيقة الأمر فكيف بعامي !!!

فصل : أمثلة سريعة على قصر الفتوى على العلماء :

من الأمور التي لا يخطر ببال العوام وأنصاف المتعلمين أنها تؤثر في المعنى فتقلبه رأسا على عقب ما يسمى بأدوات القرآن وكذا محل الإعراب للكلمة نفسها وهنا سنضرب أمثلة سريعة لذلك ومن أراد الاستفاضة فليرجع للمظان :

يقول الله تعالى : " فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم "

ذهب ابن كثير وغيره إلى أن الواو هنا واو الحال ومعنى الكلام عدم دعوة الكفار إلى المسالمة وإبرام عهود المواعدة معهم في حال قوة المسلمين وعلوهم أي قهرهم للكفار أما في حال الضعف فلا بأس وهو حجة الخانعين الآن التي يلبسون بها .

وهذا خطأ أو قول مرجوح فإن الواو هنا واو الاستئناف والمراد النهي مطلقا عن الوهن وعن دعوة الكفار للمسالمة لأن المسلم دائما عال بإيمانه واعتماده على الله وذلك بدليل قوله تعالى : فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين .

يقول تعالى : " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق " .

يرى الشافعي وغيره أن الواو هنا واو الحال فتحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه مشروط بأن يكون المذبوح فسقا أي محرما حال الذبح وبناء عليه فالتسمية عنده سنة .

وهذا خطأ أيضا أو مرجوح فإن الواو واو الاستئناف والصواب ما ذهب إليه الآخرون من أن التسمية شرط في حل المذبوح وأن المراد ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فهو فسق لأجل عدم التسمية عليه أي حرام.

يقول تعالى : " فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة "

لها معان حسب المحل الإعرابي مع معنى يشرون فقد ذكر ابن كثير أنها هنا بمعنى يشترون والصواب أنها بمعنى يبيعون وطبعا الباء تدخل على المبذول ويحصل من الخلاف ثلاثة معان :

الأول : فليقاتل " أي المسلم الحق مأمور بأن يقاتل في سبيل الله هؤلاء الذين يبذلون آخرتهم لأجل تحصيل الدنيا .. وهنا الفاعل مستتر والذين مفعول " .

الثاني : فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أي أن هؤلاء المنافقون الذين يبذلون آخرتهم لأجل تحصيل الدنيا مأمورون بالقتال في سبيل الله وترك ما هم عليه من النفاق ... فالذين هنا هي الفاعل والمفعول محذوف مقدر ويشرون أي يشترون .

الثالث : فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أي أن هؤلاء المؤمنون الذين بذلوا حياتهم الدنيا لأجل تحصيل رضا الله في الآخرة مأمورون بالقتال في سبيل الله لما يترتب عليه من أجر عظيم يأتي ذكره .. فالذين هنا هي الفاعل والمفعول محذوف مقدر ويشرون أي يبيعون . والمعنى الأخير هو الصحيح .

قوله تعالى : " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله " لها عدة معان:

الأول : أن هؤلاء الناس مشركون في الأصل باتخاذ الأنداد وهم يحبون هذه الأنداد كحبهم لله يعني هم يحبون الله أيضا والذين آمنوا أشد حبا لله من حبهم له.

الثاني : أن هؤلاء الناس مشركون في الأصل باتخاذ الأنداد وهم يحبون هذه الأنداد بالقدر الذي يحب به الله أي محبة مطلقة فليس في الآية أنهم يحبون الله . والذين آمنوا أشد حبا لله من حبهم للأنداد .

الثالث : أن هؤلاء الناس مشركون في الأصل باتخاذ الأنداد وهم يحبون هذه الأنداد كحب المؤمنين الموحدين لله في نظرهم والذين آمنوا في الحقيقة أشد حبا لله مما ظنوا .

الرابع : أن هؤلاء الناس مشركون لأنهم يحبون أشخاصا مثل حبهم لله وهذا يعني أنهم اتخذوهم أندادا حيث أشركوا في المحبة وأنهم يحبون الله . والذين آمنوا أشد حبا لله من حبهم له .

الخامس : أن هؤلاء الناس مشركون لأنهم يحبون أشخاصا بالقدر الذي يحب به الله أي محبة تامة وهذا

يعني أنهم اتخذوهم أندادا حيث صرفوا عبادة المحبة لهم وليس في الآية أنهم يحبون الله . والذين آمنوا أشد حبا لله من حبهم للأنداد .

السادس : أن هؤلاء الناس مشركون لأنهم يحبون أشخاصا كحب المؤمنين الموحدين لله في نظرهم . والذين آمنوا في الحقيقة أشد حبا لله مما ظنوا .

هذه أمثلة كتبتها على عجالة وكل قول يبني عليه أحكام واستنباطات بل وعقائد ولكل وجهته وهي أدلة واحدة ومن كتاب الله الذي يتشدد المتعالم أنه حجة بذاته وهو لا يدري أن ما يقوله كلمة حق أريد بها باطل

فصل : بعدما كتبت هذا المقال المذكور في الفصل السابق علق بعض السذج الذين طبعا لم يفهموا شيئا مما ذكرته وشعروا كأنهم يقرؤون لغة هير وغليفية أن القرآن حجة بذاته ونسخ ولصق نقولا لبعض المشايخ لاتسمن ولا تغني من جوع متوهما أن لها قيمة علمية أو أنها في محلها وكأننا نؤذن في مالطة فأتى سؤال من أحد الإخوة : أليس القرآن حجة بذاته ؟

فتوى رقم ١٥٤ :

سئل فضيلة الشيخ الدكتور محمد رزق عبد الناصر طرھوني

من الأخ أبي الحسن العراقي قال :

أليس القرآن حجة بذاته ؟

فأجاب الشيخ حفظه الله:

القرآن حجة بذاته ولكن لا يفهم حجته على الوجه الصحيح إلا النبي صلى الله عليه وسلم ولذا لم ينزل القرآن دون نبي يوضحه ويفسره وورث ذلك بعده العلماء من الصحابة ومن بعدهم ولذا أمر الله تعالى بالرجوع إليهم فلا يفهم حجة القرآن إلا العلماء ليجمعوا النصوص ويعرفوا كيف الاستنباط وقد مثلنا لذلك بقصة من أراد أن يتزوج أخته فراجعها مع سائر منشورات الحملة على الغلاة لتفقه المسألة . ومن قال بخلاف قولنا هذا فهو مخطئ أو كلامه مجمل يحتاج لتفصيل .

فصل : ثم كتبنا مقالا لضبط كيفية التعامل مع العلماء وسميناه :

" العلماء بين الإفراط والتفريط "

الغلاة في أمر العلماء بين طرفي نقيض فهم في تعاملهم مع العلماء أهل هوى بامتياز ومقياسهم الأساس هواهم المبني على جهلهم ...

فالعالم عندهم هو من وافق ما يرونه صوابا فإن خالف ما يرونه أسقطوه حتى جردوه مما لم يجرد الله أحبار اليهود منه وهو الشهادة له بالعلم وإن وافق ما يرونه فهو الإمام العلامة حتى وإن كان جعله في صفوف العلماء ظلما بينا تجدهم إذا أتيت لهم بكلام للعلماء المخالفين إما أسقطوهم كلية أو تذرعوا بدعك من قول فلان وعلان و عليك بالدليل من الكتاب والسنة وهم في نفس الوقت يكفرون الأمة بنقل عن شخص ربما لا يرتقي لمنزلة طالب علم وقد عظموه ولمعوه لأنه يوافق ما سبق في نفوسهم من هوى .

وقد نشرنا مقالة موجزة لضبط الطريق لمعرفة من العالم سواء أخالفنا أم وافقنا فإن وافقنا فالحمد لله وإن خالفنا عرفنا له قدره في العلم وتركنا الأمر للعلماء أمثاله يردون عليه بما يعرفون من أدلة وأصول . وننبه هنا على أمور تعتبر قواعد أساسية لمن أراد النجاة قد بسط العلماء أدلتها في مواضع كثيرة وهي حرية بأن تفرد بمؤلفات :

الأولى : من ظن أنه يمكن ان يعلم الدين دون أن يلج بوابة العلماء فهو كمن يظن أنه يعرف الدين دون بعثة الأنبياء ...

فعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ " والذي يعقل عن الله هم العلماء قال تعالى : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) وقال : (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) وقال : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وقد ذكر ابن القيم أن في هذه الآية عشرة أوجه تدل على شرف العلم وفضل العلماء وبذهاب العلماء يضل الناس قال صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا ، فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا " .

ويقول سعيد بن جبير : " علامة هلاك الناس إذا هلك علماؤهم " .

وبعض الجهال ينطلي عليهم شبهة يسوقها أصحاب الجهل المركب فيقولون : هم رجال ونحن رجال .. يظنها مضاربة أو عركة كما في بعض اللهجات !

يا أخي هذه قالها الإمام أبو حنيفة فهل أنت بمنزلته ؟ وانظر ماذا قال بالضبط : قال : إذا أتى العلم عن

الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أخذنا به ، وإذا جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال . يعني يتكلم عن عصره وزملائه وشيوخهم فكلهم بمنزلة واحدة فأين أنت منهم يا مسكين ؟

الثانية : منزلة العلماء أعظم منزلة بعد الأنبياء ولا يبلغ منزلتهم أعظم العباد فكيف بالعامي الذي لا في العير ولا في النفير وهم أهل الخشية وأعرف الخلق بالله وهم ولاة أمر المسلمين الذين إليهم المرجع في كل شئونهم تجب طاعتهم على الأمير والخفير والجليل والحقير قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " وقال " يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " وقال " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم "

وعن أبي أمامة الباهلي قال : ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ : أَحَدُهُمَا : عَابِدٌ ، وَالْآخَرُ : عَالِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَضَّلْتُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ " . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ "

وعن علي قال " العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، وإذا مات العالم تلم في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه "

وعن ابن مسعود قال : " والذي نفسي بيده ، ليوَدَّنَ رجالٌ قُتِلوا في سبيل الله شهداء ، أن يبعثهم الله علماء ؛ لما يرون من كرامتهم "

ويقول الحسن البصري : " يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء ، فيرجح مداد العلماء !! "

ويقول أبو الدرداء " من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد ، فقد نقص في عقله ورأيه "

الثالثة : يجب توقير العلماء ومعرفة قدرهم وعدم التنقص منهم وتقديهم على غيرهم فقد قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه .

وقد لقي نافع بن عبد الحارثِ عُمَرَ بِعُسْفَانَ - وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ - فَقَالَ : مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي ؟ فَقَالَ : ابْنُ أَبْرَى . قَالَ : وَمَنْ ابْنُ أَبْرَى ؟ قَالَ : مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا . قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى ! قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ . قَالَ عُمَرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ "

وروي أن زيد بن ثابت صلى على جنازة فُقِّرْبَتْ إليه بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال زيد

: خلّ عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

وقال ابن المبارك : " من تكلم في العلماء ذهب آخرته "

ويقول أبو سنان الأسدي : " إذا كان طالب العلم قبل أن يتفقه المسألة في الدين يتعلم الوقعة في الناس متى يفلح ؟ "

الرابعة : أن هذه المنزلة العالية لا تمنح العلماء العصمة من الخطأ مهما بلغوا من العلم ولا تسوغ طاعتهم طاعة عمياء ولا توجب تقليد أحد منهم بعينه وإنما كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال مالك رحمه الله وقد نعى الله سبحانه على أقوام سبقونا بقوله " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله "

ويروى عن ابن عباس أنه كان يقول : " أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء " .
ولكن من الذي يرد زلل العالم ؟ وكيف أعرف خطأه فأتجنبه ؟
هذا مربوط الفرس ..

الذي يرد على العالم العلماء مثله وهم الذين يحذرونك من خطئه من وجهة نظر من خطأه من العلماء وقد يرى غيرك عكس ذلك فلا يثرب أحدكما على الآخر فالعامي لا يستطيع الفصل في مسائل خلاف العلماء وإنما يتبع من يثق فيه وفي علمه ولا يملك أكثر من ذلك .

الخامسة : العالم إذا وصل لدرجة العلماء لا يعتبر في صحة قوله وما ذهب إليه : سنة ولا تقدم وفاته ولا كونه معاصرا ، ولا يحاجه قول عالم آخر مثله مهما كان أكبر منه سنا أو كان سابقا له عصرا وإنما يقدم قول الأعلم والأخص بالفن وهكذا وهذه لا يضبطها أيضا إلا العلماء وطلاب العلم الكبار أما العامي فلا علاقة له بهذا الباب جملة إنما هو فقط مستفت ومستمع .

يقول أبو مسلم الخولاني : " أَتَيْتَ مَسْجِدَ أَهْلِ دِمَشْقَ فَإِذَا حَلَقَةٌ فِيهَا كُهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِذَا شَابٌّ فِيهِمْ أَكْهَلُ الْعَيْنِ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا ، كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إِلَى الْفَتَى فَتَى شَابٌّ -وفي رواية أخرى : ولا يصدرون إلا عن رأيه - قَالَ : قُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ .
ولا علاقة لك بطعن بعض العلماء في بعض لاسيما الأقران ...

قال سعيد بن جبير رحمه الله:

" استمعوا لعلم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض ، فو الذي نفسي بيده لهم أشد تغايرا من التيوس في زرابها "

وقال الذھبي : " كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لاسيما إذا كان لحسد أو مذهب أو هوى " .

السادسة : تفرد العالم بقول لم يسبق إليه من القرون المفضلة الأولى وهم السلف الصالح غالبا ما يكون خطأ ولا يدخل في ذلك الاصطلاحات فالأمر فيها واسع فليصطلح العالم ما يشاء من اصطلاحات لتقريب فنه أو علمه لكنها لا تلزم أحدا ولذا يشتھر مقولة : لا مشاحة في الاصطلاح وإنما الإشكال إذا ترتب على الاصطلاح أحكام فهنا يجنب الاصطلاح وينظر في الماهية .

السابعة والأخيرة : طالب العلم المجتهد الذي تقدم في طلب العلم ليس بعالم ولا يعتمد قوله في الفتوى ولا في الرد على العلماء حتى يصل لدرجة العلماء التي بينا ضابطها فإياك ان تسلم أمرك في العلم لمثله فضلا عن أن تسلمه لمن هو دونه وإنما هو يساعدك لفهم كلام العلماء والدلالة عليهم ونقل فتاواهم لك ويعينك على الارتقاء من منزلة العامي .

يقول الذھبي رحمه الله تعالى في السير : الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيراً من السنة لا يسوغ له الاجتهاد أبداً ، فكيف يجتهد ؟ وما الذي يقول ؟ وعلام يبني ؟ وهذا ما يعبر عنه بأمثال تزبب قبل أن يتحصم .. ويريد الطيران ولما يريش ونحو ذلك ... فاحرص أخي المسلم أن تلحق بركب العلماء لتزيل عنك كل ما أشكل عليك وهذه المقالة المختصرة ضمها مع سابقتها " من هم العلماء " لتتير لك دربك وتنجيك من إغواءات الغلاة وتلبيساتهم .

فصل : هل الدولة الإسلامية تكفر العلماء ؟

بعض الإخوة في مقالي السابق حاول إسقاطه على الدولة الإسلامية وهذا من الفجور في الخصومة أو من الجهل بحقيقة الحال ولذا وجب التنبيه خاصة وقد لفت نظري أخ عزيز لذلك فأقول : سبق لنا في لقاء صوتي خاص التوضيح التام لبطلان دعوى من يقول إن الدولة ليس لديها علماء وبحمد الله انطفأت تلك الشبهة وأصبحت لا تطرق مسامعنا كما كانت في السابق . وقد قسمنا آنذاك العلماء أقساما توضح أن الكثير من العلماء يؤيدون الدولة ومعها قلبا وقالبا لكنهم صامتون خشية البطش وللمصلحة الأكبر في نظرهم وأنا أعرف عددا منهم ومتواصل مع بعضهم وهناك عدد آخر تم اعتقاله وهم في سجون الطواغيت قبل إعلان الدولة وبعد إعلانها . ونحن في مقالنا نتكلم عن الغلاة وموقفهم من العلماء مطلقا فإذا ببعض الإخوة يظن أن كلامنا عن العلماء يقصد به بعض الموجودين في زماننا ممن غالبهم من الحيف والظلم أن نطلق عليهم علماء أصلا بل هم لا يرتقون لطلاب العلم ولكن لمعوا وفتحت لهم المنابر لأنهم يقولون ما يشتهي السلاطين .

فنقول : نحن قصدنا العلماء خلال تاريخ الإسلام ومنهم الأكابر الأجلاء المتفق على جلالتهم فوصل الأمر ببعض الغلاة أن كفر أبا حنيفة وكفر ابن تيمية وكفر الذهبي وكفر ابن عبد الوهاب فضلا عن تكفير الهيثمي والسبكي والسيوطي والقائمة تطول ، ولا تحدثني عن ابن باز وابن عثيمين والألباني فهؤلاء عندهم ما أسلموا أصلا .

أما الدولة فهي تتبع أئمة الإسلام وتجلهم وتدرس كتبهم ومذاهبهم في مدارسها وتثني عليهم وتعرف قدرهم وما كفرت منهم أحدا إطلاقا .

كما أن موقفها من العلماء المعاصرين موقف واضح جدا وظاهرة أسبابه للعيان :

فمن أيدها وساندها عرفت له قدره وشكرت له صنيعه وما رفعتة فوق منزلته لكونه مؤيدا لها بل ربما خالفته وأنكرت عليه بعض ما يجتهد فيه وتراه خطأ .

ومن سكت عنها سكتت عنه ولم تتكلم فيه بسوء إلا أن تنكر خطأ تراه سواء بسواء كمن أيدها .

ومن جهر بخلافها وانتقد فعالا لها دون تأليب عليها أو تكفير لها فهذا أيضا ردت عليه بحلم ولا يعرف أنها كفرت من هذا النوع أحدا أو جارت عليه .

أما من قاتلها أو حث على قتلها أو كفرها فجل هؤلاء بلاعمة من بلاعمة السلطان وبعضهم لبس عليه فأفتى دون تبيين ودون روية فهؤلاء إن كفرتهم الدولة فحجتها واضحة جلية وإن قتلت منهم فعلى نفسها جنت براقش ولا يعتبر هذا بحال من الأحوال موقفا من الدولة تجاه العلماء فإن هؤلاء لا يمثلون عشر معشار معشار معشار ... علماء الأمة المعاصرين .

إياك أخي أن تقيس علماء الأمة بالمشاهير الذين فتحت لهم المنابر الإعلامية فو الله ما فتحت لهم إلا غالبا لسوء فيهم أو مداھنة ولا يسلم من ذلك إلا القليل القليل ... ونحن عندما تكلمنا عن العلماء في المقال السابق لم نقصد من فاحت رائحة عمالته وبان سوء طويته أو كان رأسا في البدعة وإماما في الضلال ممن غلب شره واستفحل خطره فهؤلاء لا نعمة لهم ولا كرامة .

وفي النهاية أنصح بمراجعة مقالي من هم العلماء مرة أخرى وكذا الاستماع لحلقة البالتوك من هم علماء الدولة الإسلامية .

فصل : وقد وردت لنا بعض الأسئلة تتعلق بهذا الاصطلاح :

ومن ذلك :

فتوى رقم ٧٢

سئل فضيلة الشيخ الدكتور محمد رزق عبد الناصر طرھوني
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بخصوص فتوى شيخنا محمد رزق بعدم تكفير ابن باز وابن عثيمين
لا تكفرهم ولكن هل هم من اهل الارزاء ؟
فأجاب حفظه الله

الشيخان من خيرة أهل السنة والجماعة وحاشاهم من الإرجاء ومن يرميهم بذلك لا يفهم معنى الإرجاء

فتوى رقم ٩٦

سئل فضيلة الشيخ الدكتور محمد رزق عبد الناصر طرھوني

السلام عليكم يا شيخ هل تنصح بالسماع للشيخ عمر الحازمي بارك الله فيكم
فأجاب حفظه الله

لا أنصح بالسماع للحازمي ولا أي شخص ليس من العلماء الذين ذكرنا وصفهم في مقال من هم العلماء بل
أحذر منه لأنه من الغلاة المغرقيين في الغلو .

فتوى رقم ١٥٤ :

سئل فضيلة الشيخ الدكتور محمد رزق عبد الناصر طرھوني

يا شيخ الآن لماذا لا تعتبر الحازمي من العلماء بالرغم من أن ترجمته في ويكيبيديا تنطبق عليها جميع
الشروط المذكورة في مقالكم ؟ لديه تاريخ في طلب وتزكيات من العلماء وأيضا مؤلفات وكتب وتلاميذ

فأجاب الشيخ حفظه الله :

أخي الكريم قرأت ترجمته فما تزيد عن تراجم آلاف مؤلفة من طلاب العلم المتخرجين من الجامعات كل
عام فهو لم يتجاوز الليسانس مع صغر سنه وأمثاله إذا كان ميرزا على الأقل يأخذ دكتوراه ولا نعرف حتى
مستواه عند التخرج ولم تنقل إلا تركية شيخ أو اثنين ودم من الثالث وما كتبه من كتابات في مجال واحد
وهو تليبيساته وغلوه .

العالم يثني عليه علماء زمانه ويعرف قدره أقرانه ويتخرج على يديه علماء مبرزين وله مؤلفات يثني عليها
العلماء في فنون العلم أما هذا فأعلى درجاته طالب علم والعويد منزلته أعلى منه بكثير .

فتوى رقم ١٥٥:

سئل فضيلة الشيخ الدكتور محمد رزق عبد الناصر طرھوني
أن البعض لا يملك شهادة ويعتبرون من العلماء.. فمطلوب التوضيح؟
ويضرب البعض مثالا بالألباني و العلوان
فأجاب الشيخ حفظه الله:

أخي السائل : ما مفهوم الشهادة ؟ الشهادة إنما تشهد لصاحبها أنه تجاوز علوما معينة على يد علماء
معتبرين بضبط وإتقان . هذا الأصل ولكن قد يتخلف الأصل فيحصل الشخص على شهادة بالباطل بالغش
مثلا أو بالتزوير أو بدرجات متدنية أو من جهات غير معتبرة فهذا كله ينظر إليه عند اعتبار الشهادة.
والعلوم الشرعية مثلها مثل أي علم فمثلا الحاصل على شهادة الطب من سريلانكا ليس كمن حصل عليها
من جامعة القاهرة مثلا والحاصل على الدكتوراه الشرعية من السربون مثلا ليس كمن حصل عليها من
الأزهر وكذا .

كما أن الذي تخرج بتقدير مقبول أو جيد ليس كمن تخرج بامتياز أو كان الأول على الجامعة ومن حصل
على دكتوراه بدون تقدير ليس كمن حصل عليها مع مرتبة الشرف.
هذه بدهيات كما أن من البدهيات في زماننا أن كبار العلماء في كل فن هم أساتذة الجامعات فيه .
كما أننا لم نقتصر في توصيف العالم على مجرد الشهادة بل أضفنا لذلك أمورا وفق منهج علماء الأمة
الأكابر في تراجم العلماء لا تجعل الشهادة هي الفيصل وما الشهادة في الأمر إلا إثبات الطلب بصورة
منضبطة مع التميز فيه .

فلو افترضنا جدلا أن شخصا حصل على العلم بفنونه المختلفة وفق طريقة السابقين في الطلب قبل ظهور
الشهادات والتخصصات وشهد له شيوخه المعتبرين بالتميز في الفنون التي درسها عليهم وأجازوه فيها فهذا
يعتبر مقابل الشهادة . ويبقى استكمال باقي مسوغات اعتباره من العلماء مما ذكرناه كثيرا .
وبالنسبة للألباني و العلوان فلا إشكال في اعتبارهما من هذا النوع على الرغم من البون الشاسع فالشيخ
الألباني متفق على جلالته وكان طلبه للعلم في عصر لم يكن أمر الشهادات التخصصية معروفا مثل الآن
فمثله مثل الشيخ ابن باز وتلك الطبقة بخلاف الطبقات التي بعدهم وقد وصل الشيخ لدرجة الأستاذية في
الجامعة وهي تقابل أعلى من الدكتوراه ومؤلفاته في الفنون المختلفة تعادل عدة رسائل في الدكتوراه وقد
طلب العلم على العلماء وجالس وناظر وزامل علماء عصره فاستفاد منهم واستفادوا منه فإن لم يكن من

العلماء فمن يكون إذا ؟

أما العلوان فشاب صغير تميز بحافظة قوية وزمانه زمان الطلب المنضبط والشهادات المعتبرة لذا فإن هذه سلبية كانت سببا في اختلاف الناس فيه اختلافا بينا ما بين مغال ومفرط ففي حين البعض يسميه شيخ الإسلام وهو إفراط مذموم جدا هناك من يعتبره متطفلا على العلم وجاهلا وهو تفريط مذموم جدا . وهناك من يعتبره طالب علم قوي وهناك من يعتبره مجرد شخص لديه ملكة حفظ قوية وهناك من يعتبره من العلماء وقد شهد بذلك له من علماء العصر كثيرون وأثنوا عليه وقد طلب العلم على العلماء وبرز في الطلب وتخرج على يده طلبة علم أفاضل وصنف وحرر مسائل علمية ودرس وشرح إذن فقد توفر فيه ما ذكرناه وليس شرطا أن تكون الدراسة نظامية طالما وجد ما قام مقامها فهذا هو القول المعترف فيه . وعليه فمن اجتمع فيه ما اجتمع في الحالات الاستثنائية أعطي حكمها ومن لا فلا ، وبالله التوفيق .

تابع المصطلحات : " الشرك والكفر ، الطاغوت ، العبادة ، المسائل الخفية ، المرجئة والجهمية "

ثانيا : مصطلح الشرك والكفر

يلوك كثيرون بعض المصطلحات الشرعية الخطيرة وهم في واقعهم لا يدركون دقة ضوابطها ومن أشهر هذه المصطلحات الشرك والكفر وبعض من من الله عليه بقراءة بعض كتابات أهل العلم وفرح بمعرفته أمورا تخفى على كثيرين وسمع مصطلحات وتفريقات لأول مرة تظهر له كمسألة الأسماء والأحكام فانتشى وظن أنه بلغ مبلغا كبيرا من العلم حيث عرف ما غاب عن غيره أخذ يؤصل وينظر فطار ولما يريش ولذا كان من الواجب الاهتمام بتحرير سريع لمعنى مصطلح الشرك وعلاقته بالكفر فكان هذا المقال :

فصل : الشرك وهل هو كفر ؟

أحد الإخوة من طلاب العلم طلب نصيحة في موضوع الأسماء والأحكام وقد فاتني تعليقه في أي منشور فأنصح هنا بكتاب قواعد الأسماء والأحكام عند ابن تيمية وهي رسالة ماجستير للشيخ محمد بن بسيس السفياي

وهذا رابطها :

<http://www.aleman.com/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%84+%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9/%D9%82%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%A1%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D9%83%D8%A7%D9%85%20%D8%B9%D9%86%D8%AF%20%D8%B4%D9%8A%D8%AE%20%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%20%D8%A7%D8%A8%D9%86%20%D8%AA%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9/i4147&p41>

وأقول :

سبق أن ذكرنا أن الغلاة وغيرهم يأخذون مصطلحات لها مدلولاتها اللغوية والشرعية ويخاطبون الناس بها حسب أفهامهم الخاصة أو حسب ترجيحات البعض في حين كثيرون يخالفون في أصل مدلولات هذه المصطلحات وبالتالي تختلف النتائج كلياً فالعبادة والشرك والكفر والطاغوت والمرتد والعالم والمرجئ والجهمي من تلك المصطلحات التي كثر استخدام الجهال وأنصاف المتعلمين لها ولما يعرفوا ضوابطها والاختلاف حولها وقد تكلمنا عن مصطلح العالم وضابطه واليوم موعداً مع الشرك وعلاقته بالكفر

قال ابن القيم : حقيقة الشرك : هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به .

وقال الحافظ ابن كثير : الشرك الأعظم يعبد مع الله غيره .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : هو صرف نوع من العبادة إلى غير الله ، أو : هو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها .

وقال الشوكاني : (إن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ : هو " تشبيه للمخلوق بالخالق – تعالى وتقدس – في خصائص الإلهية ، من ملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده "

وقال الشيخ ابن سعدي : حقيقة الشرك بالله : أن يعبد المخلوق كما يعبد الله ، أو يعظم كما يعظم الله ، أو

يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية .

وقال في تهذيب اللغة : والشرك أن تجعل لله شريكاً في ربوبيته .

وقال الراغب الأصفهاني : الشرك العظيم هو إثبات شريك لله تعالى يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر

وقسم أبو البقاء الحنفي في " كلياته " الشرك إلى ستة أقسام ...

فقال : " والشرك أنواع :

- ١- شرك الاستقلال : وهو إثبات شريكين مستقلين ؛ كشرك المجوس .
 - ٢- شرك التبعض : وهو تركيب الإله من آلهة ؛ كشرك النصارى .
 - ٣- شرك التقريب : وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله زلفى ، كشرك متقدمي الجاهلية .
 - ٤- شرك التقليد : وهو عبادة غير الله تبعاً للغير ؛ كشرك متأخري الجاهلية .
 - ٥- شرك الأسباب : وهو إسناد التأثير للأسباب العادية ؛ كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك .
 - ٦- شرك الأغراض : وهو العمل لغير الله . فحكم الأربعة الأول الكفر بإجماع ، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع ، وحكم الخامس التفصيل ؛ فمن قال في الأسباب العادية : إنها تؤثر بطبعها ؛ فقد حكي الإجماع على كفره ، ومن قال : إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها ؛ فهو فاسق .
- وأبو البقاء أشعري فقله فاسق باعتبار مذهبه وهو عكس الصواب فإن أهل السنة يقولون إن الأسباب تُؤثر بقوة أودعها الله فيها .

* وخلصا الأمر في الشرك أنه أحد ثلاثة أنواع :

* اعتقاد أمر من أمور الربوبية في غير الله .

* صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى .

* وصف غير الله بصفة من صفاته العليا .

والثلاثة تعود لمدلول كلمة ند وهو المثل والنظير والشبيه قال تعالى : " فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون "

قال مجاهد : " الأنداد : العدلاء "

وقال صلى الله عليه وسلم عندما سئل أي الذنب أعظم : أن تجعل لله ندا وهو خلقك .

* أما الشرك والكفر

فقال النووي : " الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ، فيكون الكفر أعم من الشرك

قال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية : الفرق بين الكفر والشرك أن الكفر خصال كثيرة على ما ذكرنا ، وكل خصلة منها تضاد خصلة من الإيمان ، لأن العبد إذا فعل خصلة من الكفر ؛ فقد ضيع خصلة من الإيمان ، والشرك خصلة واحدة ، وهو إيجاد ألوهية مع الله أو دون الله ، واشتقاقه ينبئ عن هذا المعنى ، ثم كثر حتى قيل لكل كفر شرك على وجه التعظيم له والمبالغة في صفته ، وأصله كفر النعمة ، ونقيضه الشكر ، ونقيض الكفر بالله الإيمان ، وإنما قيل لمضيع الإيمان كافر ؛ لتضييعه حقوق الله تعالى ، وما يجب عليه من شكر نعمه ؛ فهو بمنزلة الكافر لها ، ونقيض الشرك في الحقيقة الإخلاص ، ثم لما استعمل في كل كفر ، صار نقيضه الإيمان "

نكمل في المنشور القادم بإذن الله فكونوا معنا

فصل : الشرك والكفر " تكملة "

الأصل أن كل شرك كفر وليس كل كفر شركا هذا عند الإطلاق .

لكن الشرك نوعان :

* **شرك أصغر** وليس مرادا عندنا هنا ولكنه يحتج به على من لم يفهم قضية الأسماء والأحكام فبعضهم يقول من قتل يسمى قاتلا ومن نام يسمى نائما فمن أشرك يسمى مشركا .

فنقول له : هذا خطأ فهناك أسماء تتعلق بأحكام لو تلبس الشخص بالفعل لا يوصف بها لأنها تفتقر للنية مثلا

أو للعلم ونحو ذلك فليس كل من ركع وسجد وأقام أفعال الصلاة الظاهرة يسمى مصليا حتى يكون قد نوى الصلاة وليس كل من لبس ملابس الإحرام يسمى محرما حتى ينوي الإحرام وليس كل من وقف بعرفة لابساً ملابس الإحرام يسمى حاجا حتى يكون قد تلبس بالنسك ونوى الحج وهكذا وبعض أهل العلم لا يطلق على الشخص مسافرا حتى ينوي سفرا يزيد عن مسافة القصر وعليه فلا يسمى من وقع في الشرك الأصغر مشركا على الرغم من ثبوت الحديث في وصفه بأنه أشرك كما في قوله صلى الله عليه وسلم : من حلف بغير الله فقد أشرك .

لأن كلمة مشرك لا يوصف بها الشخص إلا بتوافر أمر متفق عليه وهو أن يكون شركه شركا أكبر كما أن لفظة كافر لا يوصف بها الشخص حتى يكون أيضا كفرة كفرا أكبر فلا يقال للنساء كافرات على الرغم من وصف النبي صلى الله عليه وسلم النساء بالكفر حين قال : بكفرنهن . فلما استفهم : أيكفرن بالله ؟ قال : لا ، يكفرن العشير .

وقال : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة .

ولا يسمى تارك الصلاة كافرا حتى يجدها عند جماهير العلماء . وحتى يتركها تكاسلا ويصر على تركها ولو قتل عند غيرهم .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أمورا سماها كفرا ولا يسمى صاحبها كافرا وقد ذكرنا منها في مقالة سابقة قتال المسلم وقد تقاتل خيار الأمة وقتل بعضهم بعضا ومن سمي أيا منهم كافرا فقد خرق الإجماع وهو أولى بالكفر لأنهم غير مقصودين أصلا بالحديث حيث المقصود منه من قاتل المسلم بغير حق وهؤلاء كلهم متأولون مجتهدون للحق فالمصيب منهم له أجران في قتاله والمخطئ له أجر واحد.

نعود فنقول:

الشرك نوعان شرك أصغر وهو بالاتفاق غير مخرج من الملة ولا يسمى صاحبه مشركا .

*** وشرك أكبر** وهو مخرج من الملة أي كفر ويسمى صاحبه مشركا كافرا هكذا بالعموم أما إذا كان الأمر متعلقا بمعين فيفصل فيه :

فمن وقع في الشرك الأكبر ولم يسبق منه دخول ظاهر في الإسلام بنطق الشهادتين أو بولادته لأب مسلم فيسمى مشركا كافرا وأما من وقع فيه وقد سبق منه دخول ظاهر في الإسلام بنطق الشهادتين أو بولادته لأب مسلم فيسمى مسلما وقع في شرك أكبر

- فإن كان في مسائل من الشرك الأكبر خفية لا يسمى مشركا .

- وإن كان في مسائل ظاهرة اختلف الناس .

* فمن أهل العلم من يسميه مشركا لكنه لا يكفره حتى يقيم عليه الحجة .

* ومنهم من يسميه مشركا ويكفره وإن لم يقم عليه الحجة .

هذه مسائل نظرية يظهر أهميتها في حال تعلق أحكام بها فما عليه العلماء قاطبة وعلى مر العصور أنه لا يتعلق بها أحكام حتى تثبت قضائيا بمعنى رفع أمر هذا المعين لولي الأمر فيعرض على القاضي وينظر في استيفاء الشروط وانتفاء الموانع وتثبت رده إما بالإقرار أو بالبينة فإن تاب أو أنكر عند من يقبل إنكاره للبينة

وإلا حكم بردته بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع فباننت امرأته منه وقتل ردة ولم يصل عليه ولم يدفن في مقابر المسلمين وانتقل ميراثه لبيت المال وعليه فلو سماه مسلم علم بحاله مشركا كافرا قبل الحكم فهو معذور لوقوعه فيما ظاهره شرك أكبر وكفر ومن سماه مسلما معذور لعدم ثبوت ردته شرعا أما بعد ثبوت ردته شرعا فيجب على كل مسلم أن يقول بردته وكفره إلا إذا خالف الحكم القضائي عالم مجتهد يرى خلا في هذا الحكم ويعذر مثله من يقلده من العوام ليس تسويغا للشرك والكفر وإنما طعنا في الحكم القضائي . وكذا تظهر أهميتها عند القتال في حال انبرى الخليفة لقتال طائفة من هؤلاء ممتعة بشوكة فهل يقاتلهم قتال مسلمين أم مرتدين وهذه يجتهد فيها علماء الوقت ويتبنى الخليفة قولاً منهما بناء على ما يفتي به العلماء . ومثل الشرك سواء بسواء الكفر فمنه كفر أصغر ومنه كفر أكبر فأصل الكفر لغة التغطية والستر فمن غطى وستر إيمانه كله فقد كفر كفرا أكبر ومن غطى جزءاً منه فقد كفر كفرا أصغر وتفصيل ذلك يطول . والحكم على المعين بالكفر ينطبق عليه ما تقدم في الشرك ومن الكفر الأكبر ما هو شرك ومنه ما ليس بشرك فقد يكون الكافر موحداً لكنه كفر بإنكاره نبوة نبي أو إنكاره لكتاب سماوي أو إنكاره للملائكة أو للبعث ونحو ذلك .

وكما في الشرك مسائل خفية فكذلك في الكفر مسائل خفية والإشكال هنا في الضابط المفرق بين المسائل الخفية والظاهرة فلا يوجد ضابط يفرق بينهما ولذا ينظر في هذا الأمر القاضي ويجتهد فيه فبعض الأمور تكون ظاهرة في مكان أو توقيت معين في حين تكون خفية في مكان أو توقيت آخر وهكذا .

ثالثا : مصطلح الطاغوت :

هذا المصطلح قصر حالياً على ألسنة البعض على فرد من أفراد دخل فيه من باب الاجتهاد لا النص وهو الحاكم الذي أصله الإسلام لكنه لا يطبق الشريعة ومع ذلك قصر عليه وكأنه المعنى المراد من النص ثم نقلت له الأحكام كمسلمات عند الغلاة ولذا وجب تحريره بهذا المقال :

فصل : من المصطلحات التي أصبح بعض العوام وأنصاف المتعلمين يطلقونها على من تشمله ومن لا تشمله ويعتمدها الغلاة لتقرير ما يبثونه من سموم فيكفي أن يقول فلان طاغوت هكذا ثم يبني على هذه المقدمة الفاسدة نتائج وأحكاما عظيمة وأولها التكفير بغير حق وكما قلت كل مصطلح من هذه المصطلحات يحتاج كتابا ولكني أقتطف زهرات من البستان فقط لكي يعرف المسلم أن هذه الأمور ليست من معنيات العامة بحال من الأحوال بل هي فقط للعلماء وباليتمهم يستطيعون تحريرها .

وقد ذكرَ الطاغوتُ ثمان مرات في القرآن الكريم :

في سورة البقرة : قال الله عز وجل :

" فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى " (البقرة: ٢٥٦) .

" والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يُخرجونهم من النور إلى الظلمات " (البقرة: ٢٥٧) .

في سورة النساء : قال الله تعالى :

" ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجِبَتِ والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله فلن تجد له نصيراً " (النساء: ٥١-٥٢) .

" ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً " (النساء: ٦٠) .

" الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً " (النساء: ٧٦) .

في سورة المائدة : قال الله تعالى :

" قل هل أنبئكم بشرٌ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبدَ الطاغوت أولئك شرٌّ مكاناً وأضل عن سواء السبيل " (المائدة: ٦٠) .

في سورة النحل قال الله تعالى :

" ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حَقَّتْ عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِّبين " (النحل: ٣٦) .

في سورة الزمر قال الله تعالى :

" والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد " (الزمر: ١٧) .

قال ابن جرير القول في تأويل قوله " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله "

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى " الطاغوت " .

فقال بعضهم : هو الشيطان .

ورواه ابن جرير عن عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبي والضحاك وقتادة والسدي في قوله : " فمن يكفر بالطاغوت " بالشيطان .

وقال آخرون : الطاغوت : هو الساحر .

ورواه عن أبي العالفة ومحمد بن سيرين قال : الطاغوت : الساحر .

وقال آخرون : بل " الطاغوت " هو الكاهن .

ورواه عن سعيد بن جبیر ورفیع وابن جریج .

وروی عن جابر بن عبد الله ، أنه : سئل عن الطواغیت التي كانوا يتحاكمون إليها فقال – : كان في جهينة واحد ، وفي أسلم واحد ، وفي كل حي واحد ، وهي كهان ينزل عليها الشيطان .

قلت : وأصح ما ورد في تفسير الطاغوت وأعلاه سندا وجمالة ما جاء عن جابر بن عبد الله .

وكان من هؤلاء الطواغیت أبو برزة الأسلمي وكان يقضي بين اليهود في المدينة فيما يتنافرون فيه .

وقد حررنا القول في ذلك في صحیح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية بالمجلد الأول وكل الآثار المتقدمة الواردة عن السلف الصالح تؤول لتفسير الطاغوت بالشيطان فالكاهن لا يقضي إلى بما يوحى إليه الشيطان ويؤيد ذلك قول مجاهد : " الطاغوت : الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه ، وهو صاحب أمرهم " والساحر لا يتبع إلا الشيطان ولا ياتمر إلا بأمره كما قال تعالى " واتبعوا ما تتلو الشياطين " فهو كما قررناه في دروسنا في أصول التفسير من اختلاف التنوع لا التضاد ومنه التعبير عن الشيء ببعض أفراده أو ما يندرج تحته .

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندي في " الطاغوت " أنه كل ذي طغیان على الله ، فعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، وإنسانا كان ذلك المعبود ، أو شيطانا ، أو وثنا ، أو صنما ، أو كائنا ما كان من شيء .

وأرى أن أصل " الطاغوت " " الطغوت " من قول القائل : " طغا فلان يطغو " إذا عدا قدره ، فتجاوز حده ، كـ " الجبروت " " من التجبر " و " الخلبوت " من " الخلب " . ونحو ذلك من الأسماء التي تأتي على تقدير " فعلوت " بزيادة الواو والتاء . ثم نقلت لامه – أعني لام " الطغوت " فجعلت له عينا ، وحولت عينه فجعلت مكان لامه ، كما قيل : " جذب و جبذ " " وجاذب و جابذ " " وصاعة و صاقعة " وما أشبه ذلك من الأسماء التي على هذا المثال .

فتأويل الكلام إذا : فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله ، فيكفر به " ويؤمن بالله " يقول : ويصدق بالله أنه إلهه وربّه و معبوده " فقد استمسك بالعروة الوثقى " يقول : فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب

الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه وقال أيضاً "والصواب من القول في تأويل : " يؤمنون بالجبت والطاغوت " ، أن يقال : يصدّقون بمعبودين من دون الله ، يعبدونهما من دون الله ، ويتخذونهما إلهين . وذلك أن " الجبت " و " الطاغوت " : اسمان لكل معظّم بعبادة من دون الله ، أو طاعة ، أو خضوع له ، كائنًا ما كان ذلك المعظّم ، من حجر أو إنسان أو شيطان . وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها ، كانت معظّمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جُبوتًا وطواغيت . وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالوا في أهل الشرك بالله . وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ، لأنهما كانا مطاعين في أهل ملّتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ، فكانا جبّتين و طاغوتين ."

وقيل : هو [الطاغوت] كل معبود من دون الله ، أو مطاع في معصية الله ، وهذا حسن .

وقيل : الجبت كل ما حرم الله ، والطاغوت كل ما يطغي الإنسان . والله أعلم .

وقد ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتَّبِعُ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيَةَ الطَّوَاغِيَةَ ففسرها بعض أهل العلم بالأصنام وهو متجه ويمكن أن يراد بها الكهان أيضا على ما تقدم من تفسير جابر

وقال مالك ، والليث ، وأبو عبيدة ، والواحدي ، والكسائي ، وجماهير أهل اللغة كل ما عبد من دون الله فهو : طاغوت .

فانظر يا رعاك الله فيما تقدم عن السلف الصالح وما رجحه ابن جرير الطبري ثم قارنه بمواضع استعمال كلمة الطاغوت عند الغلاة حيث وصل الأمر ببعضهم أن سمى الشيخ حازم أبو إسماعيل طاغوتا وسمى الدكتور الطواھري طاغوتا ثم بنى عليه لزوم الكفر به ثم فسر جهلا الكفر به بأنه تكفيره ثم بنى على ذلك كفر من لم يكفره لأنه لم يكفر بالطاغوت ثم طبعا سيكفرني لأنني نشرت ذلك ثم سيكفر كل من عمل إعجابا للمنشور أو مشاركة أو علق دون إنكار كما صرح بذلك بعضهم .

نعود لموضوع الطاغوت بنقول سريعة مستقاة من كلام المتأخرين حتى لا نطيل :

أطلق المتأخرون من أهل العلم الطاغوت على كثير ممن طغى وتجاوز الحد والشرع ، وعدّ منهم :

* الشيطان .

* الكاهن ومن يدعي علم الغيب .

- * الساحر .
 - * الأوثان .
 - * الدرهم والدينار .
 - * بيتُ الصنم .
 - * الطاغية الظالم والمعتد الغاشم .
 - * الحاكم الجائر المغيّر لأحكام الله تعالى ، الذي يحكم بغير ما أنزل الله .
 - * رؤوس الضلالة والابتداع والزيغ عن السنة .
 - * علماء السوء الذين يدعون إلى الكفر ، أو الضلال والابتداع .
 - * نفاة الصفات ومعتلوها ومؤولوها .
 - * من عبد فرضي .
 - * من دعا إلى عبادة نفسه .
 - * وبعض العصاة كالحاكم الجائر وآكل الرشوة والعامل بغير علم .
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " قاعدة في المحبة "
- " والطاغوت كل معظم ومتعظم بغير طاعة الله ورسوله ؛ من إنسان ، أو شيطان ، أو شيء من الأوثان " .
- وقال - أيضاً - في مجموع الفتاوى :
- وهو [أي الطاغوت] اسم جنس يدخل فيه : الشيطان ، والوثن ، والكهان ، والدرهم ، والدينار ، وغير ذلك .
- وقال ابن القيم في " أعلام الموقعين " :
- " والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده ؛ من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع " .
- وقال في " الصواعق المرسلة " :
- الفصل الرابع والعشرون في ذكر الطواغيت الأربع التي هدم بها أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين وانتهكوا بها حرمة القرآن ومحوا بها رسوم الإيمان وفي " الدرر السنية " قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب :
- اعلم رحمك الله أن أول ما أوجب الله تعالى على عبده الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى :
- { لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } والطواغيت كثيرة والمتبين لنا منهم خمسة : أولهم الشيطان ، وحاكم الجور ، وآكل الرشوة ، ومن عبد فرضي ، والعامل بغير علم .
- ومشهور عن الشيخ محمد قوله في رؤوس الطواغيت الخمسة .

والخلاصة أن كل متجاوز لحده في الطغيان والظلم يصح أن يطلق عليه طاغوت من حيث اللغة ولذا يكفر بعض الطواغيت كمن دعا الناس لعبادته ولا يكفر البعض الآخر كالمرتشي كما أن كل من عبد من دون الله يصح أن يطلق عليه طاغوت عند جمع من أهل العلم وقد تكون العبادة معنوية كعبادة الدينار والدرهم وهذه حرام وليست شركاً أو كفراً أكبر وقد تكون العبادة فعلية وهذه شرك وكفر أكبر والمعبود غير راض بها فيخرجه بعض أهل العلم من مسمى الطاغوت ويجعلون ذلك في حق العابد فيكفر العابد ولا يكفر المعبود وقد تكون العبادة فعلية والمعبود راض فيكفر كلاهما ويبقى النظر في العبادة ما هي ؟
ولها منشور آخر بإذن الله

وهذه فتوى مختصرة في معنى الطاغوت ومعنى الكفر به للشيخ ابن باز رحمه الله للفائدة :

<http://www.binbaz.org.sa/node/8958>

رابعاً : مصطلح العبادة

من المصطلحات المهمة جداً والتي بنى عليها الغلاة تكفير المسلمين مصطلح العبادة الذي بسبب جهل ضابطه حكم على كثير من المسلمين بالشرك ومن ثم بالكفر ومن ثم بجل الدم فكان هذا المقال لضبط هذا الاصطلاح:

فصل : ما تعريف العبادة ؟

العبادة في اللغة : هي التذلل والخضوع

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : والعبادة أصل معناها الذل يقال : طريق معبد إذا كان مذلاً قد وطنته الأقدام .

وقال ابن كثير - رحمه الله - : العبادة في اللغة من الذلة ، يقال طريق معبد وبغير معبد أي : مُذَلَّل .

وقال طرفة بن العبد في معلقته المشهورة يصف ناقته :

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت *** وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد

فقوله : فوق مور معبد : أي فوق طريق مذلل من كثرة السير عليه ، فالمور هو الطريق .

والعبادة في الشرع لها عدة إطلاقات وحسب تعلقاتها يكون التعريف بها ، وهي تطلق إطلاقين :

١- الفعل الذي هو التَّعْبُدُ .

٢- المفعول وهو الْمُتَعَبَّدُ به أو القربة .

مثال ذلك الصلاة ففعلها عبادة وهو التعبّد ، وهي نفسها عبادة وهي المتعبّد به .

وحيثما نتكلم عن تعريف العبادة ونقصد الأمور التي يحصل بها التعبّد لله ...

يعرفها ابن القيم بقوله : العبادة والعبودية لله اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد ، وأعمال القلوب ، وأعمال الجوارح ؛ فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال ، والتروك فهو عبادة ؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك .

ومن التعريفات لها أيضاً : الأعمال الصالحة الإرادية التي تُؤدّي الله تعالى ويفرد بها .
وقيل : فعل ما يرضي الرب .

وأفضل التعريفات في ذلك تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية وقد مثل لذلك بأمثلة فقال :

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ؛ كالتوحيد ؛ فإنه عبادة في نفسه ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، وصيام رمضان ، والوضوء ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وحب الله ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمة ، والرضاء بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، والاستغاثة به ، وغير ذلك مما رضيّه وأحبه ، فأمر به ، وتعبد الناس به .

وحيثما نتكلم عن العبادة من حيث العلاقة بين العابد والمعبود فهي توحيدُ الله بكلّ ما يختصُّ به تعالى .
فهو المعبودُ بتوحيده في إلهيته ، وفي أسمائه وصفاته ، وفي ربوبيّته .

وهذا ما يسمى توحيد العبادة والفرق بينه وبين العبادة أن العبادة هي ذات القربة أو فعلها .
أما توحيدها فصرفها لله وحده لا شريك له .

وحيثما نتكلم عن العبادة من حيث الفعل وهو التعبّد فلها معنيان :

التعبّد العام وهو كوني قدرّي : فهي قهر وانقياد كل ما سوى الله من جنّ ، وإنسٍ ، وملائكةٍ ، وأنعامٍ ، وبهائمٍ ، وجماداتٍ ، وغيرها .

قال تعالى : أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً

التَّعَبُّدُ الخاصُّ وهو شرعي ديني : وهو التَّعَبُّدُ المتعلِّقُ بالأمر والنَّهي ، وجعل الله فيه للعابد الاختيار ، وهذا خاصٌّ بالجنّ والإنس .

قال تعالى : { وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون } .

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ : إلا لآمرهم أن يعبدوني ، وأدعوهم إلى عبادتي . وقال مجاهد : إلا لآمرهم وأنهم وهذه العبادةُ الخاصةُ المَبْنِيَّةُ على كمالِ الحبِّ والتَّعْظِيمِ ، والاجلالِ والاكرامِ ، والخوفِ والرجاءِ ، ونحو ذلك ؛ ولا تَنَمُّ عبوديةُ العبدِ لله إلا بالحبِّ والافتقارِ له فمتى كان يحبُّ غيرَ الله لذاتِهِ ، أو يلتفتُ إلى غيرِ الله أنَّه يعينُهُ ؛ كان عبداً لما أحبَّهُ ، وعبداً لما رجاَهُ ؛ بحسبِ حُبِّه له ، ورجائِهِ إيَّاه .

وأما تعريفها من حيث المقصد منها :

ف قيل : هي تعظيم يقصد به الزلْفى من الله تعالى والنجاة في الدار الآخرة .

وقيل هي فعل ما أمر الله به ورسوله ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ابتغاء وجه الله والآخرة

وإذا تكلمنا على العبادة من حيث قبولها وردھا يلزم أن يتحقق فيها أمران :

الأمرُ الأولُ : الإخلاص ، وهو مقتضى شهادةِ ألا إله إلا الله .

الأمرُ الثاني : المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مقتضى شهادةِ أنَّ محمداً رسولُ الله

و حينما نتكلم عن العبادة كحقيقة وهو الذي نريد التنبيه له لأنه المرتبط بقضية الشرك :

يعرفها شيخُ الإسلامِ بأنها : اسمٌ جامعٌ لغايةِ الحبِّ لله وغايةِ الذلِّ له ، فَمَنْ ذلَّ له مِنْ غَيْرِ حُبِّ لم يكن عابداً ، بل يكونُ هو المحبوبُ المطلقُ ؛ فلا يُحِبُّ شيئاً إلا له .

وعرفها ابنُ القيمِ بأنها : كمالُ المحبة مع كمالِ الذل .

وقال في النونية :

وعبادة الرحمن غاية حبه ** مع ذل عابده هما قطبان**

وقيل : فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه .

وقال الشيخ ابن سعدي : العبادة روحها وحققتها تحقيقُ الحبِّ والخضوع لله ؛ فالحب التام والخضوع الكامل

الله هو حقيقة العبادة ، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة ؛ فإن حقيقتها الذل

والانكسار لله ، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها .

وقيل : هي ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ، ناشئ عن استشعار القلوب عظمة المعبود .

وقيل : نهاية التذلل لنهاية تعظيم الغير بالاختيار .

وقيل :عبارة عن الاعتقاد والشعور بأن للمعبود سلطة غيبية في العلم والتصرف فوق الأسباب ، يقدر بها على النفع والضرر ؛ فكل دعاء وثناء وتعظيم ينشأ من هذا الاعتقاد : فهو عبادة .
وقد أثنى الحنفية على هذا التعريف بأنه جامع لأنواع من العبادة ؛ قال الشيخ الرستمي :
"وما أحسن ما قيل " ، ثم ذكر هذا التعريف ثم قال :
وهذا التعريف جامع لجميع أفراد العبادات : من الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والذكر ، والنذر ، والثناء ، والدعاء ، والعبادات : القولية ، والبدنية ، والمالية جميعاً ؛ فكل من يعبد عبادة ويعتقد أن للمعبود علماً بجميع الحالات ، وتصرفاً في كل حال . فإن كان يعبد الله - فهو عبادة الله ، وإن كان يعبد لغير الله بهذا الاعتقاد - فهو شرك ، وعبادة غير الله تعالى .

وقيل : هي عبارة عما يجمع كمال المحبة ، والخضوع ، والخوف ، والرجاء ، والطاعة ... واعتبر هذا التعريف مشتملاً على أركان العبادة فإذا فقد ركن لم تكن عبادة .

فتبين أن العبادة مبناها على الحب ، والخضوع والخوف والرجاء لذات المعبود .

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ذاكراً بعض الفوائد من سورة الفاتحة : " { إياك نعبد { أي أعبدك يا رب بما مضى بهذه الثلاث : بمحبتك ، ورجائك ، وخوفك . فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير الله شرك .

والتعبد لغير الله قد يكون شركاً أصغر وقد يكون شركاً أكبر بقدر اكتمال أركان العبادة فيه وعدم ذلك :
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - " معلوم أن هذا الباب يتفاضلون فيه تفاضلاً عظيماً ، وهو تفاضلهم في حقيقة الإيمان ، وهم ينقسمون فيه إلى عام وخاص ، ولهذا كانت ربوبية الرب لهم فيها عموم وخصوص ، ولهذا كان الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، وفي الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، إن أعطي رضي وإن منع سخط " فسماه النبي عبد الدرهم ، وعبد الدينار ، وعبد القطيفة ، وعبد الخميصة ، وذكر ما فيه دعاء وخبر ، وهو قوله : " تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش " والنقش : إخراج الشوكة من الرُّجْلِ ، والمنقاشُ : ما يخرج به الشوكة . وهذه حال من إذا أصابه شرٌّ لم يخرج منه ، ولم يفلح ، لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ، ولا خُص من المكروه وهذه حال من عبد المال... " أ.هـ

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " جعله عبداً ما يرضيه وجوده ، ويسخطه فقدّه ، حتى يكون عبد الدرهم وعبداً ما وصف في هذا الحديث ، والقטיפفة هي التي يجلس عليها فهو خادمها ، كما قال بعض السلف : البس من الثياب ما يخدمك ، ولا تلبس منها ما تكن أنت تخدمه ، وهي كالبساط الذي تجلس عليه ، والخميصة : هي التي يرتدي بها ، وهذا من أقل المال ، وإنما نبه به النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو أعلى منه ، فهو عبداً لذلك ، فيه أرباب متفرقون ، وشركاء متشاكسون ، ولهذا قال : (إن أُعطيَ رضى وإن منع سخط) فما كان يرضي الإنسان حصوله ، ويسخطه فقدّه فهو عبده إذ العبد يرضى باتصاله بهما ، ويسخط لفقدهما ، والمعبود الحق الذي (لا إله إلا الله) إذا عبده المؤمن وأحبّه حصل للمؤمن بذلك في قلبه إيمان وتوحيد ومحبة وذكر وعبادة ، فيرضى بذلك ، وإذا منع من ذلك غضب ، وكذلك من أحب شيئاً فلا بد من أن يتصوره في قلبه ، ويريد اتصاله به بحسب الإمكان قال الجنيد : لا يكون العبد عبداً حتى يكون مما سوى الله تعالى حراً .

وهذا مطابق لهذا الحديث ، فإنه لا يكون عبداً لله خالصاً مخلصاً دينه لله كله حتى لا يكون عبداً لما سواه ، ولا فيه شعبة ولا أدنى جزء من عبودية ما سوى الله ، فإذا كان يرضيه ويسخطه غير الله فهو عبداً لذلك الغير ، ففيه من الشرك بقدر محبته وعبادته لذلك الغير "

واشترطت القبورية قيوداً في تعريفهم للعبادة ما أنزل الله بها من سلطان ليلبسوا على الناس ويخرجوا شركياتهم من مفهوم العبادة كالاستقلال بالنفع والضرر ، والربوبية ، ونفوذ المشيئة ، ونحوها

بقي سؤال غاية في الأهمية :

هل العبادات تعرف بالفطرة أم بالحس أم بالعقل أم بالاجتهاد أم بالنص التوقيفي ؟

والجواب أن العبادات لا تعرف إلا بالنص التوقيفي .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" فَبَاسْتِقْرَاءِ أَصُولِ الشَّرِيعَةِ نَعْلَمُ أَنَّ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ أَوْ أَحَبَّهَا لَا يَنْبُتُ الْأَمْرُ بِهَا إِلَّا بِالشَّرْعِ ، وَأَمَّا الْعَادَاتُ فَهِيَ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ فِي دُنْيَاهُمْ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ عَدَمُ الْحَظَرِ ، فَلَا يَحْظَرُ مِنْهُ إِلَّا مَا حَظَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ هُمَا شَرَعُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْعِبَادَةُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَأْمُورًا بِهَا ، فَمَا لَمْ يَنْبُتْ أَنَّهُ مَأْمُورٌ كَيْفَ يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ عِبَادَةٌ ؟ وَمَا لَمْ يَنْبُتْ مِنَ الْعَادَاتِ أَنَّهُ مِنْهَيٌّ عَنْهُ كَيْفَ يُحْكَمُ عَلَيْهِ أَنَّهُ

مَحْظُورٌ؟ وَلِهَذَا كَانَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ فُقَهَاءِ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَصْلَ فِي الْعِبَادَاتِ التَّوْقِيفُ، فَلَا يُشْرَعُ مِنْهَا إِلَّا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَإِلَّا دَخَلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) وَالْعِبَادَاتُ الْأَصْلُ فِيهَا الْعَفْوُ، فَلَا يُحْظَرُ مِنْهَا إِلَّا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَإِلَّا دَخَلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا). وَلِهَذَا دَمَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ شَرَعُوا مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، وَحَرَّمُوا مَا لَمْ يُحَرِّمَهُ " انتهى .

وقد قيل في تعريف العبادة: إنها ما أمر به شرعاً من غير اقتضاء عقلي، ولا اطراد عرفي .

فالغاية من خلق الخلق؛ عبادة الله وحده، والغاية من إرسال الرسل؛ هو تعريف الناس بالعبادة التي خلقوا من أجلها .

ولذا لم يكن للخلق حجة على الله بعد الرسل .

فهل يمكن أن تخفى نصوص بعض العبادات عن البعض أم لا ؟

الجواب نعم قد تخفى والأمثلة كثيرة ...

فمن لم يصله البلاغ الرسولي فيما لا يعرف إلا عن طريق الرسل لا بالعقل أو الحس أو الفطرة كثير فكثير لا يعرف أن الذبح عبادة وكثير لا يعرف أن الطواف عبادة وكثير لا يعرف أن النذر عبادة وكثير لا يعرف أن العكوف عبادة وكثير لا يعرف أن القيام عبادة وغير ذلك لتعلق كل ما تقدم بنصوص شرعية من آيات وأحاديث لا يعرفها إلا من تعلمها وهذا قدر يتفاوت فيه الناس تفاوتاً عظيماً .

خامساً : مصطلح المسائل الظاهرة والمسائل الخفية

مصطلح المسائل الظاهرة والخفية أحدث لخبطة في عقول الكثيرين وقد تعرضنا له كثيراً في منشوراتنا وسيأتي ذلك في مباحث الكتاب إلا أننا كتبنا مقالا خاصا بنقول تضبطه عن شيخ الإسلام لأنه أول من استخدمه بهذه الكثرة حيث إن كثيراً من الغلاة يتعلق بنقول عنه موهمة فقلنا :

فصل : المسائل الظاهرة والمسائل الخفية

استكمالاً لقضية المصطلحات التي لا يفهمها الغلاة لعدم أخذهم عن العلماء وإنما ينقلون من الكتب بالقص واللصق مصطلح ما يسمى بالمسائل الظاهرة والمسائل الخفية وعلى الرغم من كون هذا المصطلح محدث

غير معلوم عند العلماء المتقدمين والمصطلح المعتمد في ذلك هو ما علم من الدين بالضرورة ننقل هنا نقولاً قصا ولصقا عن شيخ الإسلام وهو يرى أن هذا الأمر نسبي فقد يكون الأمر ظاهرا عند قوم خفيا عند آخرين قال ابن تيمية رحمه الله "وكون المسألة قطعية أو ظنية ؛ هو من الأمور الإضافية ، وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له ، كمن سمع النص من الرسول ، وتيقن مراده منه ، وعند رجل لا تكون ظنية ، فضلاً عن أن تكون قطعية ؛ لعدم بلوغ النص إياه ، أو لعدم ثبوته عنده ، أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته . " وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحَاحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثُ الَّذِي قَالَ لِأَهْلِهِ : " إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي الْيَمِّ فَوَاللَّهِ لَأُنْفِقَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ لِيُعَذِّبَنِي اللَّهُ عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . فَأَمَرَ اللَّهُ الْبِرَّ بِرَدِّ مَا أَخَذَ مِنْهُ وَالْبَحْرَ بِرَدِّ مَا أَخَذَ مِنْهُ وَقَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ خَشِيتُكَ يَا رَبِّ فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ " . فَهَذَا شَكٌّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ . وَفِي الْمَعَادِ بَلْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَعُودُ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ وَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ " .

وقال " فكون المسألة قطعية أو ظنية هو أمر إضافي ، بحسب حال المعتقدين ، ليس هو وصفاً للقول نفسه ، فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة ، أو بالنقل المعلوم صدقه عنده ، وغيره لا يعرف ذلك لا قطعاً ولا ظناً ، وقد يكون الإنسان ذكياً ، قويّ الذهن ، سريع الإدراك ، فيعرف من الحق ، أو يقطع به ما لا يتصوره غيره ، ولا يعرفه لا علماً ولا ظناً ، فالقطع والظن يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة ، وبحسب قدرته على الاستدلال ، والناس يختلفون في هذا وهذا ، فكون المسألة قطعية أو ظنية ليس هو صفة لازمة للقول المتنازع فيه ، حتى يقال : كل من خالفه خالف القطعي ، بل هو صفة لحال الناظر المستدلّ المعتمد ، وهذا مما يختلف فيه الناس " .

وقال " فكون المسألة قطعية أو ظنية أمر إضافي بحسب حال المعتقدين ، ليس هو وصفاً للقول في نفسه ؛ فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة أو بالنقل المعلوم صدقه عنده ، وغيره لا يعرف ذلك لا قطعاً ولا ظناً ، وقد يكون الإنسان ذكياً قويّ الذهن ، سريع الإدراك علماً وظناً ، فيعرف من الحق ويقطع به ما لا يتصور غيره ، ولا يعرفه لا علماً ولا ظناً ، فالقطع والظن يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة ، وبحسب قدرته على الاستدلال " .

وقال " فإن القول الصدق إذا قيل فإن صفته الثبوتية اللازمة : أن يكون مطابقاً للخبر ، أما كونه عند المستمع معلوماً ، أو مظنوناً ، أو مجهولاً ، أو قطعياً ، أو ظنياً ، أو يجب قبوله ، أو يحرم ، أو يكفر جاحده ، أو لا يكفر ؛ فهذه أحكام عملية تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ؛ فإذا رأيت إماماً قد غلط على قائل مقالته ،

أو كَفَّره فيها ، فلا يعتبر هذا حكماً عاماً في كلِّ مَنْ قالها ، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه والتكفير له ؛ فإنَّ مَنْ جحد شيئاً من الشرائع الظاهرة وكان حديث العهد بالإسلام ، أو ناشئاً ببلد جهل لا يكفِّر حتى تبلغه الحجة النبوية .

وكذلك العكس : إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم فاغترفت لعدم بلوغ الحجة له ، فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول ؛ فلهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك ، ولا تبدع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم فهذا أصلٌ عظيم ، فتدبره فإنه نافع " انتهى .

لم ينشر في المقال هذا التعليق :

في مسألة سماع الأموات الصحيح قول عائشة رضي الله عنها وأنهم لا يسمعون إلا من ورد فيهم النص وهم أهل القلب في وقت خاص لأمر خاص وأما حديث يسمع قرع نعالهم فهو كناية عن القرب وليس لإثبات السماع الحقيقي وهذا جمعا بين الأدلة وحجة عائشة واضحة وجليّة وقطعية فهي من القرآن الكريم ومن رأى خلاف ذلك فهو المخطئ .

سادسا : مصطلح المرجئة ومصطلح الجهمية :

لا تكاد تدخل صفحة لأحد الغلاة إلا تجد فيها كلمة كافر مرتد مشرك كأن اللغة العربية زالت مفرداتها ولم يبق فيها إلا هذه المصطلحات هذا لمن كثروا له عن أنيابهم ولو كان شيخ الإسلام ابن تيمية أو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أما من كان في فترة المخاض فستجد له مصطلحات أقل حدة كجهمي أو أقل منها كمرجئ وأصبح البعض يتلقف هذه المصطلحات فيطلقها على إخوانه المسلمين ولا يدري عظم جرمه في ذلك وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولذا وجب تبصرة الإخوة بمعنى هذين المصطلحين فكان هذين المقالين :

فصل : أنت مرجئ !!

روى الخلال بإسناده إلى إسماعيل بن سعيد قال : سألت أحمد عمَّن قال : الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : هذا بريء من الإرجاء .

وقال البربهاري : " من قال : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فقد خرج من الإرجاء كله ، أوله وآخره " قال رحمه الله تعالى : " فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً على جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ولم يتكلم في الباقيين إلا بخير ودعا لهم ، فقد خرج من التشيع أوله وآخره ، ومن قال : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره ، ومن قال : الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والجهاد مع كل خليفة ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ، ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره ، ومن قال : المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها يُضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره ، وهو صاحب سنة " .

وموافقة فرقة عندها انحراف عقدي في أمر ما لا يعني أن ينسب إليها الشخص ولكن مجمل الأصول هو الفيصل وهي نفس شبهة اتهام الدولة بالخارجية .

ومسألة اللف والدوران على كلام العلماء لموافقة فكر الشخص أو منهجه هي نفسها ما حصلت من خصوم الدولة فالعلماء قالوا إن ضابط الخوارج التكفير بالكبيرة فحاصوا حيصة الحمر الوحشية وهاجوا وماجوا وقالوا التكفير بالمعاصي والتكفير بغير مكفر ومهما نفت الدولة عن نفسها القول باعتقاد الخوارج وصرحت بخلاف معتقداتهم لم يقبلوا منها وأصروا على اتهامها بما برأت منه نفسها وهنا قال العلماء إن عمدة المرجئة عدم القول بزيادة الإيمان ونقصانه والنص على كون الإيمان قولا فقط ولذا يرون أن إيمان أي مسلم يستوي مع إيمان أبي بكر بل وإيمان جبريل فنرى من يحاول الالتفاف فيقول إن من يصرح بأن الإيمان يزيد وينقص ثم لا يكفر بالعمل المجرد هو متناقض ومن يقول إن العمل من الإيمان ولكنه شرط كمال ولكن ليس شرط صحة هو لم يعتبر أن الإيمان قول وعمل وهذا نوع من الإلزام بلازم القول ولا يقبل وهنا توسط البعض فقسم المرجئة لفريقين وسمى الفريق الوسط بين أهل السنة والإرجاء مرجئة الفقهاء فتساهل قليلا معهم حتى اعتبر بعض أهل العلم أن الخلاف مع مرجئة الفقهاء صوري وليس حقيقيا ورد البعض على هذا الأمر ويظهر لي جمعا بين الفريقين أن الخلاف نظريا ليس صوريا وإنما حقيقي وعمليا صوري ففي الواقع لا يمكن أن يوجد مسلم باق على إيمانه ولم يقم بأي عمل صالح سوى الاعتقاد القلبي إلا في حالة واحدة أن يقول لا إله إلا الله ثم يموت فورا بعد قولها وهذا بالإجماع تنفعه وهو مؤمن لأنه لم يتمكن من غيرها أما من تمكن من العمل ولم يعمل أي عمل صالح قط حتى مات فهذه صورة ذهنية لا توجد في الواقع في مؤمن صادق في إيمانه ؛ ألم يذكر الله مرة أو يمسك عن معصية أو يفعل طاعة قلبية أو بدنية أو مالية .

وأهل السنة يرون أن أقل ما يلزمه فعله على الراجح هو الصلاة ولذا كان موضوع الصلاة وتركها مما يذكر في أمر الإرجاء وإن لم يكن الحكم في حد ذاته وهو تكفير تارك الصلاة من مسائل الإرجاء وإنما الخلاف فيه

دائر بين أهل السنة أنفسهم ، وتهمة الإرجاء تهمة معلبة مثل تهمة الخوارج سواء بسواء فأهل التفريط يتهمون أهل الحق بأنهم غلاة والغلاة منهم يتهمونهم بأنهم خوارج أزارقة في حين يتهمهم أهل الإفراط بأنهم مرجئة والغلاة منهم يتهمونهم بأنهم جهمية قال الإمام أحمد بن حنبل : " و أما الخوارج فإنهم يسمون أهل السنة والجماعة مرجئة ، و كذبت الخوارج في قولهم ، بل هم المرجئة ، يزعمون أنهم على إيمان و حق دون الناس و من خالفهم كافر !! " .

وقد سمت المنصورية وهم فرقة من فرق الخوارج – و هم أتباع عبد الله بن زيد – أهل السنة والجماعة مرجئة ، لقول بعضهم : إن تارك الصلاة إذا لم يكن جاحدا لوجوبها مسلم ، و يقولون : هذا يؤدي إلى أن الإيمان عندهم قول بلا عمل " ذكر ذلك أبو الفضل السكسكي في كتابه " البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان.

إلا أن تهمة الإرجاء تهمة هينة لينة فلا يوجد أي نص صحيح يتعلق بهم الأمر لا يعدو أن يكون اجتهادا خاطئا في موضوع عقدي كأبي اجتهاد عقدي خاطئ وأول ما ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنه ابن الأشعث سنة (٨٣) هجرية وهو إرجاء العمل عن الإيمان ويسمى (إرجاء الفقهاء) وأول من قال به هو : ذر بن عبد الله المرهبي الهمداني " مات قبل المائة " ثم ظهر القول بأن الإيمان قول وأول من قال به : حماد بن أبي سليمان(ت١٢٠) شيخ أبي حنيفة وقد وقع في الإرجاء أئمة من السلف هم خيار الأمة وعلماؤها منهم من تقدم ذكرهم ومنهم العالم العلم الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني وأبوه ابن الحنفية ثقة فقيه يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء ومن مشاهير رواة الحديث وخصيف بالصاد المهملة مصغر بن عبد الرحمن تلميذ الإمام مجاهد بن جبر و خالد بن يحيى بن صفوان السلمى وهو من كبار شيوخ البخاري وسعيد بن سالم القداح أبو عثمان الفقيه والحافظ شبابة بن سوار المدائني وشعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الأموي وطلق بن حبيب العنزي البصري العابد وعاصم بن كليب الكوفي وعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وعبد الرحمن بن معاوية أبو الحويرث المدني وعبد العزيز بن أبي رواد العابد وابنه عبد المجيد وعمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني وعمرو بن مرة أبو عبد الله الكوفي الأعمى العابد والقاسم بن الفضل بن معدان وقيس بن مسلم الجدلي الكوفي ويونس بن راشد الحراني أبو إسحاق القاضي وأبو بكر النهشلي الكوفي وغيرهم

وعلى رأس هؤلاء الإمام الفذ الجهد المتبوع من مليارات من أمة الإسلام على مر عصوره أبو حنيفة النعمان فعقيدته وفقهه دين غالبية المسلمين اليوم والأمس .

أما الخوارج فالنصوص متواترة في ذمهم والحث على قتالهم بل ظواهر النصوص تدل على تكفيرهم وقد اختلفت في ذلك الأمة ولا يوجد عالم واحد معتبر من السلف انتحل دينهم وثبت ذلك عليه والحمد لله فاحذر يا رعاك الله فلأن تكون مرجئاً خير لك ألف مرة من أن تكون خارجياً والخير كله أن تكون بينهما في الوسط فتكون سنياً نبوياً وليعلم المسلم الموحد أن هذه الفرق عموماً لا تتصل من اعتقاداتها فالخارجي يفخر بأصول عقيدته وينافح عنها والمرجئ كذلك لا تجد مرجئاً يستحيي من أن يقول لك الإيمان لا يزيد ولا ينقص بل يقول ذلك ويناظر عليه وينافح وله أدلة قوية يستند إليها لغوية وشرعية وأشهرها أن يقول لك إن الله تعالى دائماً ما يعطف العمل الصالح على الإيمان ولو كان العمل جزءاً من مسمى الإيمان لما التزم الخطاب القرآني العطف وأصل العطف يقتضي المغايرة وكأنك تقول على مذهبك : الذين عملوا الصالحات وعملوا الصالحات وهذا تكرار ينزه القرآن عنه...

هذا مثال لدليل واحد لهم وما أكثر أدلتهم ...

وأهل السنة يردون عليهم بأن العطف لا يقتضي المغايرة دائماً ويأتون لهم بأمثلة وأن عطف بعض أفراد العام عليه لا مانع منه ويكون للأهمية أو لنكتة بلاغية كما في قوله قل من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال .. ونحو ذلك

فإذا وجدت أحداً يتصل من أصول المرجئة ويؤكد عدم اعتقاده لعقيدتهم فإياك أن تحاول إصاق التهمة به وإنما أعلى ما يمكنك أن تصمه به أن تقول له أنت وافقت المرجئة في كذا أو لازم قولك يفضي إلى موافقة المرجئة ونحو ذلك من أساليب أهل العلم فإذا كان عالماً فالحذر الحذر فاتهام العالم خطير وفيه تزكية للنفس أنك أعلم منه بالعقيدة الصحيحة ويزداد الطين بلة إن اكن هذا العالم له مؤلفات خدم بها عقيدة أهل السنة والجماعة ونصرها وحث عليها إلا أن تكون ناقلاً لكلام عالم آخر ودعت الحاجة لنقل ذلك عنه في وقته. كذلك نفع الله بك إياك أن تأخذ قولاً لعالم يوافق المرجئة أو يشابه منهجهم وتترك قولاً له آخر قد وضح فيه وبين مقصده من القول الأول أو تأخذ قولاً محتملاً لذلك ولديه قول واضح جلي ينفي ذلك فالإنصاف وحماية الأعراض هو المقدم أيضاً لا تنفرد حتى ولو كنت عالماً بطعن في عالم آخر والتركيز على ذلك المطعن فيه وقد سبقك من أهل العلم الأكابر المشهود لهم بالباع في العقيدة وسلامتها بتبرئة هذا العالم من نفس هذه التهمة والثناء على عقيدته

* أصول المرجئة – المتفق عليها بينهم و إلا فقد اختلفوا – ثلاثة اثنان منها تفرعا عن الأول :

وهو إخراج أعمال الجوارح من الإيمان جملة ، فمن عمل كمن لم يعمل .

وتفرع عنه :

أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، لأنه وحدة واحدة لا يتجزأ .

وتحريم الاستثناء في الإيمان وتكفير صاحبه لأن الاستثناء فيه وهو قوله أنا مؤمن إن شاء الله شك في أصل إيمانه وحقيقته .

لذلك قال الامام أحمد وعبد الله بن المبارك والبربهاري :

" من قال إن الإيمان يزيد و ينقص فقد برئ من الإرجاء " ، لأن من قال ذلك يكون قد أدخل الأعمال في الإيمان .

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي : " ترك الاستثناء هو أصل الإرجاء " .

ومما تفرع عن ذلك اشتراطهم الاستحلال في أي عمل كفري لأن الإيمان عندهم قلبي محض فمهما عمل من عمل فإيمانه كما هو وعليه فكفره لا بد فيه من خروج الإيمان من قلبه وهو ما يعبر عنه بالاستحلال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عمّن يشترط الاستحلال في تكفير من سبّ النبيّ صلى الله عليه وسلم :

" وإذا تبين أن مذهب سلف الأمة ومن اتبعهم من الخلف أن هذه المقالة في نفسها كفر ؛ استحلتها صاحبها أو لم يستحلها ، فالدليل على ذلك جميع ما قدمناه في المسألة الأولى من الدليل على كفر السابّ ... ومنشأ هذه الشبهة التي أوجبت هذا الوهم من المتكلمين أو من هذا حذوهم من الفقهاء : أنهم رأوا أن الإيمان هو تصديق الرسول فيما أخبر به ورأوا أن اعتقاد صدقه لا ينافي السب والشتم ... فهذا مأخذ المرجئة ومعتزديهم ، وهم الذين يقولون الإيمان هو الاعتقاد والقول ، وغلاتهم – وهم الكرامية – الذين يقولون هو مجرد القول وإن عري عن الاعتقاد " .

ومن أصول المرجئة غير المشهورة وقد خالفهم من نهج نهجهم وشابهم ممن يسمون بمرجئة العصر وإن لم تنطبق عليهم أصول المرجئة أنهم لا يرون لولاة الجور سمعاً ولا طاعة ، بل يرون السيف .

قال سفيان بن عيينة والأوزاعي : " إن قول المرجئة يُخرج إلى السيف "

وقال سفيان الثوري :

" أما المرجئة ؛ فيقولون : (الإيمانُ كلامٌ بلا عمل) ، (مَنْ قال : أشهدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمداً عبده ورسوله : فهو مؤمنٌ مُستكملٌ إيمانَه على إيمان جبريل والملائكة ، وإنَّ قتلَ كذا وكذا مؤمناً ، وإنَّ تركَ الغسلِ من الجنابة ، وإنَّ تركَ الصلاةِ) ، وهم : يرونَ السيفَ على أهلِ القبلةِ ... فإنَّ قيلَ لك : مَنْ إمامُكَ في هذا ؟ فقل : سفيان الثوري "

وقال الإمام عبد الله بن طاهر عن المرجئة :

" إنكم تُبغضونَ هؤلاء القومَ جهلاً ، وأنا أبغضهم عن معرفة ، أولاً : أنهم لا يرونَ للسلطان طاعة ، والثاني : أنه ليس للإيمان عندهم قدرٌ "

موقفنا من الإرجاء وأهله :

على المسلم الحذر من عقيدة المرجئة ليسلم له دينه ويكون على عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة أهل الحق والعدل وعليه أن يحذر إخوانه من الوقوع في الإرجاء ويوضح لهم مزالقه وما يؤدي إليه من دعاوى حديثة وأفكار جدت على الساحة وعليه أن يقف موقف العادل المقسط مع إخوانه ممن وقع في هذه البدعة من عامة المسلمين فلا يبغضهم حقهم الشرعي كماخوة له داخل دائرة الإسلام يتبعون علماء أكابر فليرفق بهم وبتوجيههم ونصحهم إن كان أهلاً لذلك وليحذر أن يرمي أحداً ببدعة الإرجاء فعرض المسلم لا يستباح إلا بما أجازته الشرع فإن لم يكن من العلماء فليصمت أو لينقل كلام العلماء في جرح الشخص بذلك ولا يتبنى هو الحكم عليه ، وإن كان عالماً فعليه أن يتنبه للفرق بين المرجئة ومن وافق المرجئة في أصل من أصولهم حتى لا ينسب إليهم من ليس منهم .

أما علماء المرجئة فليمسك المسلم لسانه عنهم جملة ويترحم على من قضى منهم ويذكر محاسنهم ويشيد بفضائلهم مع التحذير من أقوالهم الخاطئة في هذا الأمر والرد العلمي عليها إن كان من أهل العلم وإلا فلا يرد هو وإنما ينقل ردود العلماء عليهم وموضوع الإرجاء موضوع طويل وقد أخذ فيه العلماء رسائل بحثية علياً من ضخامته وبعض الإخوة الفضلاء له دروس نافعة في ذلك لمن أراد الاستفاضة وقد نختلف في بعض المصطلحات وبعض المواقف والأمر لا يعدو أن يكون اجتهاداً من الأحبة لتقريب الصورة والتحذير من مزالق الإرجاء أسيء فهمها واعتبرها البعض مقياساً لحقيقة الإرجاء فأصبح يخطب يخطب عشواء ويرمي عباد الله بل علماء الأمة بالإرجاء يمناً ويسرة فالله المستعان .

فصل : الجهمية

تكلما كثيرا عن أهمية تحرير المصطلحات وأن إهمالها أساس كل بلاء وكما قدمنا في مقال (أنت مرجئ) أن موافقة فرقة عندها انحراف عقدي في أمر ما لا يعني أن ينسب إليها الشخص ولكن مجمل الأصول هو الفيصل وهي نفس شبهة اتهام الدولة بالخارجية .

وسبق مقالنا (جهمي جلد) ليؤكد ذلك أيما تأكيد .. {سيأتي المقال لاحقا إن شاء الله}

وحتى تكتمل الصورة نفرد هذا المقال لمصطلح طغى ذكره على السنة الغلاة بغير علم ولا فقه وكثيرا ما يقرنون بينه وبين الإرجاء وشتان بين الاصطلاحين حتى وإن اشتركا في جزئية وتمخض أحدهما عن الآخر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن ؛ فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب ، وحقيقة قولهم جحود الصانع ؛ ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية ، وقال غير واحد من الأئمة : إنهم أكفر من اليهود والنصارى – يعنون من هذه الجهة – ولهذا كفروا من يقول : إن القرآن مخلوق ، وإن الله لا يرى في الآخرة ، وإن الله ليس على العرش ، وإن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ، ونحو ذلك من صفاته. وأما المرجئة : فلا تختلف نصوصه أنه لا يكفرهم ؛ فإن بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع ، وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه إلى نزاع في الألفاظ والأسماء ، ولهذا يسمى الكلام في مسائلهم (باب الأسماء) وهذا من نزاع الفقهاء لكن يتعلق بأصل الدين ؛ فكان المنازع فيه مبتدعاً . اهـ

نعود لتحرير المصطلحات وأهميتها فننقل هنا عن الإمام ابن القيم نقلا مهما جدا في ذلك يتعلق باللعب بمصطلح (جسم) ونذكركم بمناسبة ذلك بما كتبناه من مقالات فيها تقسيمات عدة للمراد من المصطلحات وهذا هو منهج العلماء فبالنسبة لمصطلح جسم هناك من ينفي لفظ الجسم عن الله من الجهمية والمعتزلة ليخفي ما يهدف إليه من نفي ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات ، وهناك من يثبت الجسم من المشبهة ليخفي ما يهدف إليه من إثبات ما نفاه الله عن نفسه ؛ وقد أجاب العلامة ابن القيم رحمه الله عن هذه المسألة وفصلها تفصيلاً شافياً كافياً فقال :

" واعلم أن لفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتاً فيكون له الإثبات ، ولا نفياً فيكون له النفي. فمن أطلقه نفياً أو إثباتاً سنل عما أراد به ، فإن قال : أردت بالجسم معناه في لغة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في

اللغة جسم سواه ، فلا يقال للهواء : جسم لغة ، ولا للنار ولا للماء. فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا ، فهذا المعنى منفي عن الله عقلاً وسمعاً ، وإن أردتم به المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر الفردة فهذا منفي عن الله قطعاً .

والصواب نفيه عن الممكنات أيضاً ، فليس الجسم المخلوق مركباً من هذا ولا من هذا ، وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب ، فهذه المعاني ثابتة لله تعالى وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسماً ، كما أنا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصباً ، ولا ننفي قدر الرب ونكذب به لأجل تسمية القدرية لمن أثبتته جبرياً ، ولا نرد ما أخبر به الصادق عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية أعداء الحديث لنا حشوية ، ولا نجد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسماً مشبهاً".

إلي أن قال : " وإن أردتم بالجسم ما يشار إليه إشارة حسية فقد أشار أعرف الخلق به بإصبعه رافعاً بها إلى السماء بمشهد الجمع الأعظم مشهداً له لا للقلبة ، وإن أردتم بالجسم ما يقال أين هو ؟ فقد سأل أعلم الخلق به بأين ، منبهاً على علوه على عرشه وسمع السؤال بأين وأجاب عنه ، ولم يقل : هذا السؤال إنما يكون عن الجسم .

وإن أردتم بالجسم ما يلحقه (من وإلى) فقد نزل جبريل من عنده وعرج برسوله إليه ، وإليه يصعد الكلم الطيب ، وعنده المسيح رفع إليه ، وإن أردتم بالجسم ما يتميز منه أمر غير أمر فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها من السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة ، وهذه صفات متميزة متغايرة ... " إلى أن قال :

" وإن أردتم بالجسم ما له وجه ويدان وسمع وبصر فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التي أطلقها على نفسه. وإن أردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستوياً على غيره فهو سبحانه فوق عبادته مستو على عرشه " .هـ

نعود للجهمية لتحرير من هم وما أصولهم ومن يصح أن ينسب لهم وما حكمهم وما موقف المسلم منهم فنقول :

قال ابن تيمية :

أصل مقالة التعطيل للصفات إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين ، فإن أول من

حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة ، وأن معنى استوي بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم ابن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه . ا.هـ

والجعد بن درهم : عداؤه في التابعين مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً وهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن ، وتعطيل الله عن صفاته .

وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمرعان وأخذها أبان عن طلوت بن أخت لبيد بن الأعصم ، وأخذها طلوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين السحرة .

ويروى أن خالد بن عبد الله القسري خطب في الناس يوم الأضحى بواسط وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله منكم ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل وذبحه وذلك في حدود سنة عشرين ومائة ومن هنا حدثت بدعة الجهمية في أواخر عصر التابعين وبعد أن عاش الجعد بن درهم بالفساد والضلال وبعد أن قتل أخذ عنه مذهبه تلميذه الجهم بن صفوان قال عنه الذهبي : الضال المبتدع رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين ، وما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً عظيماً . أي : زرع في الأمة شراً عظيماً .

وقال عبد العزيز بن أبي سلمة : إن كلام جهم صفة بلا معنى ، وبناء بلا أساس ، ولم يعد قط من أهل العلم . ومما يدل على جهله بأحكام الشريعة ما روي أن جهماً سئل عن رجل طلق قبل أن يبني بها ، فقال : عليها العدة ، فخالف كتاب الله تعالى بجهله ، قال الله سبحانه : **فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا** .

وكان الجهم من الجبرية الخالصة وأول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته .

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : " وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً ، فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام "

قال أبو معاذ البلخي :

" كان فصيح اللسان ، لم يكن له علم ولا مجالسه لأهل العلم ، وكان قد تناقل كلام المتكلمين وكلمه السمنية (مذهب كفري) فقالوا له : صف لنا ربك الذي تعبد به ؟

فدخل البيت لا يخرج كذا وكذا ، ثم خرج عليهم بعد أيام

فقال : هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ، ولا يخلو منه شيء .

تعالى الله عما قالوا علوا كبيرا .

وقد قامت أفكار الجهم بن صفوان على البدع الكلامية والآراء المخالفة لحقيقة العقيدة السلفية متأثراً بشتى

الاتجاهات الفكرية الباطلة .

وقد ذكر شيخ الإسلام درجات الجهمية فقسّمهم إلى ثلاث درجات إلا أن إطلاق اسم الجهمية وفي الاصطلاح

لا يراد به إلا الدرجة الأولى :

الدرجة الأولى : وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله وصفاته ، وإن سموه بشيء من الأسماء الحسنى

قالوا : هو مجاز .

الدرجة الثانية من الجهمية: وهم المعتزلة ونحوهم ، الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون

صفاته .

الدرجة الثالثة: وهم قسم من الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ، ولكن فيهم نوع من التجهم ، وهم الذين

يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ولكنهم يريدون طائفة من الأسماء ، والصفات الخبرية وغير الخبرية

ويؤولونها .

ومنهم من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقہ ، وطائفة

من أهل الحديث ، ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضاً في الجملة ، لكن مع نفي وتعطيل لبعض

ما ثبت بالنصوص وبالمعقول ، وذلك كأبي محمد بن كلاب ومن اتبعه ، وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن

الأشعري وطوائف من أهل الفقہ والكلام والحديث والتصوف ، وهؤلاء إلى السنة المحضة أقرب منهم إلى

الجهمية والرافضة والخوارج والقدريّة ، لكن انتسب إليهم طوائف هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة

المحضة . اهـ

لاحظ قوله هنا وهؤلاء إلى السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية مع جعله إياهم في البداية قسيماً لهم لما

نوهنا به في بداية النقل .

واعلم أن الجهمية المحضة ، كالقرامطة ومن ضاهاهم ؛ ينفون عنه تعالى اتصافه بالنقيضين فهو عندهم ليس

بموجود ، ولا ليس بموجود ، ولا حي ، ولا ليس بحي ، ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع بدهيا .

عقائد الجھمية :

أولاً : إنكار جميع الأسماء والصفات لله عز وجل ويجعلون أسماء الله من باب المجاز .

ثانياً : القول بالجبر والإرجاء .

ثالثاً : إنكار كثير من أمور اليوم الآخر مثل الصراط ، الميزان ، رؤية الله تعالى ، عذاب القبر .

رابعاً : القول بفناء الجنة والنار .

قال ابن أبي العز رحمة الله : " وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة ، وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة ، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض .

خامساً : نفي أن يكون الله متكلماً بكلام يليق بجلاله ، والقول بأن القرآن مخلوق .

قال شيخ الإسلام : لكن الجھمية والمعتزلة يقولون أنه خلق كلاماً في غيره من غير أن يقوم به كلام لأنه لو قام به كلام بمشيئته وقدرته لقامت به الحوادث قالوا : ولا تقوم به الحوادث ، قالت الجھمية والمعتزلة لأن الحوادث هي من جملة الصفات التي يسمونها الأعراض ، وعندهم لا يقوم به شيء من الصفات قالوا لأن الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجسم وليس هو بجسم لأن الجسم لا يخلو من الحوادث فهو حادث . وقد ذكر أبو القاسم الطبري الحافظ في كتابه في (شرح أصول السنة) مقالات السلف والأئمة في الأصول فذكر من قال القرآن كلام الله غير مخلوق ثم قال : فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة ، على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام ، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم ، ولو اشتغلت بنقل قول أهل الحديث لبلغت أسماؤهم ألوفاً ، لكنني اختصرت فنقلت عن هؤلاء عصاراً بعد عصر لا ينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه قال : " ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال القرآن مخلوق جعد بن درهم في سنة نيف وعشرين ومائة ، ثم جهم بن صفوان ، فأما جعد فقتله خالد بن عبد الله القسري ، وأما جهم فقتل بمرور في خلافة هشام بن عبد الملك "

سادساً : القول بأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط .

قالوا : من عرف ربه بقلبه ، فهو مؤمن ، ولو لم ينطق بلسانه ، ولم يقل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، ولو لم يعمل شيئاً ، لا صلاة ، ولا زكاة ، ولا صوم ، ولا حج ، يكفي المعرفة ، ولو لم يقر بنبوة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، ولو لم يفعل شيئاً من الفرائض ، لا صلاة ولا زكاة ، هذا أخبث

المذاهب ، وأفسد مذهب قيل في تعريف الإيمان : مذهب الجھمية .

سابعا : نفي أن يكون الله في جهة العلو ، والقول بأن الله قريب بذاته وأنه مع كل أحد بذاته جل و علا ، وهذا هو المذهب الذي بنى عليه أهل الاتحاد والحلول أفكارهم .

قال شيخ الإسلام : قول معطلة الجھمية ونفاتهم : وهم الذين يقولون لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا مباين له ولا محايث له ، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم .

وقال : قول حلولية الجھمية الذين يقولون أنه بذاته في كل مكان كما تقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجھمية وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء فإن الحلول أغلب على عباد الجھمية وصوفيتهم وعامتهم ، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم كما قيل: متكلمة الجھمية لا يعبدون شيئاً، ومتصوفة الجھمية يعبدون كل شيء .

ثامنا : تكفيرهم لمخالفهم

قال شيخ الإسلام : وهؤلاء الجھمية معروفون بمفارقة السنة والجماعة وتكفير من خالفهم واستحلال دمه كما نعت النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج لكن قولهم في الله أقبح من قول الخوارج وإن كان للخوارج من المباينة للجماعة والمقاتلة لهم ما ليس لهم

تاسعا : قولهم في الدعاء

قال شيخ الإسلام : هؤلاء الجھمية ومن دخل فيهم من الملاحدة والفلاسفة والصابئين وغيرهم لا يعتقدون حقيقة الدعاء لله ولا يؤمنون أن الله على كل شيء قدير لا سيما من يقول منهم أنه موجب بالذات لا يمكنه أن يغير سببا ولا يحدثه .

وقد ذكر أبو الحسن الأشعري آراء جهم التي تفرد بها فقال :

" الذي تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل بالله فقط ، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل ، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال : تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس ، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه ، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل ، وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً بذلك ، كما خلق له طويلاً كان به طويلاً ولوناً كان به متلوناً ...

ويحكي عنه أنه كان يقول : لا أقول : إن الله سبحانه شيء ؛ لأن ذلك تشبيه له بالأشياء وكان يقول : إن علم الله سبحانه محدث – فيما يحكى عنه ، ويقول بخلق القرآن ، وأنه لا يقال : إن الله لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون .

الحكم على الجهمية :

وقد ذهب كثير من علماء السلف إلى تكفير الجهمية وإخراجهم من أهل القبلة ، ومن هؤلاء الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، فقد جعل في كتابه (الرد على الجهمية) باباً سماه (باب الاحتجاج في إكفار الجهمية) وباباً آخر سماه (باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم) كما أورد الدارمي جملة من أسماء الذين حكموا بكفر الجهمية صراحة ، ومنهم : سلام بن أبي مطيع ، وحماد بن زيد ، ويزيد بن هارون ، وابن المبارك ، ووكيع ، وحماد بن أبي سليمان ، ويحيى بن يحيى ، وأبو توبة الربيع ابن نافع ، ومالك بن أنس .

وقد كان سلف الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود كما قال عبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهما .

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رجل قال : إن الله لم يكلم موسى تكليماً ، وإنما خلق الكلام والصوت في الشجرة وموسى عليه السلام سمع من الشجرة لا من الله ، وأن الله عز وجل لم يكلم جبريل بالقرآن وإنما أخذه من اللوح المحفوظ ، فهل هو على الصواب أم لا ؟

فأجاب : الحمد لله ، ليس هذا على الصواب ، بل هذا ضال مفتر كاذب باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، بل هو كافر يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، وإذا قال لا أكذب بلفظ القرآن وهو قوله " وكلم الله موسى تكليماً " بل أقر بأن هذا اللفظ حق فإن هؤلاء هم الجهمية الذين اتفق السلف والأئمة على أنهم من شر أهل الأهواء والبدع حتى أخرجهم كثير من الأئمة عن الثنتين والسبعين فرقة .

قال الإمام البخاري : ما أبالي أصليت خلف الجهمي والرافضي الشيعي ، أو صليت خلف اليهودي والنصراني ! فلا يسلم عليهم ، ولا يعادون إذا مرضوا ، ولا يناكحون ، ولا يشهدون ، ولا تؤكل ذبائهم ويقول : نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس ، فما رأيت أضل في كفرهم منهم – أي : من الجهمية - وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم .

وقال ابن المبارك : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية . وبعد كل هذا نقول :

ما موقفنا من الجھمية ؟

علينا أن نتبرأ منهم ونحذر من عقيدتهم الباطلة وأن نعتقد أن الأرجح تكفيرهم في الجملة ونعذر من لا يكفرهم ونهتم بنشر عقيدة أهل السنة والجماعة . والحمد لله ؛ فإن بدعة الجھمية تعتبر قد انقرضت ولم يعد لمن يقول بأصولها وجود ، ولا يعرف من أهل العلم من تبني هذه العقيدة الفاسدة فالحذر الحذر من اتهام أحد من المسلمين بها فضلاً عن اتهام عالم مشهود له بالخير والفضل بها فإن ذلك من إحدى الكبر ثم نقول:

من ثبت أنه جھمي حقا بتبنيه لأصولهم أو جلها وعلى رأسها القول بنفي الصفات والأسماء وخلق القرآن والجبر والإرجاء فإنه لا يكفر بعينه حتى يتم استيفاء الشروط وانتفاء الموانع ويعامل معاملة المسلمين لحين يتم ذلك ونختم هنا بنقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك وما ذكره من فعل الإمام أحمد رحمهما الله تعالى

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

المأثور عن عامة أئمة السنة والحديث ؛ أنهم كانوا يقولون : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن قال : إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ونحو ذلك. ثم حكى أبو نصر السجزي عنهم في هذا قولين : أحدهما : أنه كفر ينقل عن الملة . قال : وهو قول الأكثرين . والثاني : أنه كفر لا ينقل . ولذلك قال الخطابي : إن هذا قالوه على سبيل التغليظ ، وكذلك تنازع المتأخرون من أصحابنا في تخليد المكفر من هؤلاء ؛ فأطلق أكثرهم عليه التخليد كما نقل ذلك عن طائفة من متقدمي علماء الحديث ؛ كأبي حاتم ، وأبي زرعة ، وغيرهم ، وامتنع بعضهم من القول بالتخليد . وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة ؛ فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم ؛ ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات ؛ من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافراً فيتعارض عندهم الدليلان ، وحقيقة الأمر أنهم أصابهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع ؛ كلما رأوهم قالوا : من قال كذا : فهو كافر . اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ، ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتقي في حق المعين ، وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه ؛ فإن الإمام أحمد – مثلاً – قد باشر الجھمية الذين دعوه إلى خلق القرآن ، ونفي الصفات ، وامتنعوا وسائر علماء وقته وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات ، وقطع الأرزاق ورد الشهادة وترك تخليصهم من أيدي العدو ؛ بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجھمية من الولاية والقضاة وغيرهم يكفرون كل من لم يكن جھمياً موافقاً لهم على نفي الصفات مثل القول بخلق القرآن ، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر فلا يولونه ولاية ولا يفتكونه من عدو ولا يعطونه شيئاً من بيت

المال ، ولا يقبلون له شهادة ولا فتيا ولا رواية ، ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة والافتكاك من الأسر وغير ذلك ؛ فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان ، ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الإيمان ، ومن كان داعياً إلى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه . ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم ؛ فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها وإثابة قائلها ، وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها ، والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب ؛ ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحلهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم ؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع ، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون : القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة ، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوماً معينين ؛ فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر ؛ أو يحمل الأمر على التفصيل ؛ فيقال : من كفره بعينه ؛ فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه ، ومن لم يكفره بعينه فلانتفاء ذلك في حقه هذه مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم " اهـ

وقال رحمه الله : " والتحقيق في هذا : أن القول قد يكون كفراً كمقالات الجهمية الذين قالوا : إن الله لا يتكلم ولا يرى في الآخرة ؛ ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر ؛ فيطلق القول بتكفير القائل ؛ كما قال السلف من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن قال : إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر . ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة كما تقدم ؛ كمن جحد وجوب الصلاة والزكاة واستحل الخمر والزنا وتأول ؛ فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه ؛ فإذا كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له واستتابته – كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر – ففي غير ذلك أولى وأحرى ؛ وعلى هذا يخرج الحديث الصحيح في الذي قال : (إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين) وقد غفر الله لهذا ؛ مع ما حصل له من الشك في قدرة الله وإعادته إذا حرقوه ، وهذه المسائل مبسطة في غير هذا الموضع " اهـ

وقال رحمه الله : " ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش – لما وقعت محنتهم – أنا لو وافقتكم كنت كافراً ؛ لأنني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال . وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم " اهـ

وقال رحمه الله : " وأما تكفيرهم وتخليدهم : ففيه أيضاً للعلماء قولان مشهوران : وهما روايتان عن أحمد . والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة ونحوهم . والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولونها التي

يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول كفر ، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضاً. وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضوع ؛ لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير ، وانتفاء موانعه ؛ فإننا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق ، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له. وقد بسطت هذه القاعدة في (قاعدة التكفير) " اهـ.

الفهرس

الباب الثالث : المصطلحات

أولا : مصطلح العلماء

فصل : يا أحبة .. ماذا جرى للناس؟؟ هل اندرس العلم لهذه الدرجة ؟ ألا يعي هؤلاء عاقبة ما يفعلون ؟

فصل : أنا وزميل الجامعة الشماس بالكنيسة

فصل : بعض الإخوة سأل كيف نعرف العالم من غيره

فصل : تراجم شيوخ شيوخنا ممن لم أجد معلومات تكفي لمنزلة بعضهم عند طلاب العلم واتخاذهم أئمة يصدر عن قولهم وفهمهم ونطلب من لديه إفادة زائدة في طلبهم العلم وشهادة علماء عصرهم لهم بالعلم والسبق .

أولا : الشيخ الباطين

ثانيا : الشيخ ابن سحمان

فصل : تشغيبات البعض بقولهم الطرھوني يقول هو العالم الأوحد .. الطرھوني يمدح نفسه .. الطرھوني مغرور قتله الكبر والعجب .. الطرھوني .. الطرھوني ..

فصل : من وافقهم قالوا سيدنا وبين سيدنا وإن خالفهم قالوا سفيها وبين سفيها

فصل : البعض يستدل لك بنصوص من القرآن وأدلة من السنة وكأنه قد فتح عكا

فصل : أمثلة سريعة على قصر الفتوى على العلماء

فصل : الرد على بعض السذج الذين طبعا لم يفهموا شيئا مما ذكرناه في الفصل السابق ... قالوا أليس القرآن حجة بذاته ؟

فصل : " العلماء بين الإفراط والتفريط "

فصل : هل الدولة الإسلامية تكفر العلماء ؟

فصل : وقد وردت لنا بعض الأسئلة تتعلق بهذا الاصطلاح " من هم العلماء "

تابع الباب الثالث

تابع المصطلحات : " الشرك والكفر ، الطاغوت ، العبادة ، المسائل الخفية ، المرجئة والجهمية "

ثانيا : مصطلح الشرك والكفر

فصل : الشرك وهل هو كفر ؟

فصل : الشرك والكفر " تكملة "

ثالثا : مصطلح الطاغوت

رابعا : مصطلح العبادة

هل العبادات تعرف بالفطرة أم بالحس أم بالعقل أم بالاجتهاد أم بالنص التوقيفي ؟

الحملة الطرھونية على الغلاة

خامسا : مصطلح المسائل الظاهرة والمسائل الخفية

سادسا : مصطلح المرجنة ومصطلح الجهمية

فصل : أنت مرجئ !!

موقفنا من الإرجاء وأهله

فصل : الجهمية

عقائد الجهمية

الحكم على الجهمية

ما موقفنا من الجهمية ؟